الأمراء الثلاثة

(الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي)

(الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي)

(الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي)

بقلم

محمد على محمد إمام

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب

المصرية

إدارة الشئون الفنية

الأمراء الثلاثة لجماعة التبليغ والدعوة

بقلم/ محمد على محمد إمام ... ميت غمر

الطبعة الأولي ٢٠١١

عدد الصفحات (٣١٩ صفحة)

المقاس (١٨ × ٢١ سم)

رقم الإيداع : (١٣٣٣٦)

تاريخ الإيداع : ١٢/ ٧ / ٢٠١١

الترقيم الدولي : ٧ – ١٦٥ - ٧١٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ **I.S.B.N.**

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

- إلى مشايخنا وعلمائنا في كل بلاد العالم جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ ومعلمين.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه، وإحياء سنة نبيه.
- إلى كل من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق.

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ وحده وَالصلاة والسلام على سيد الخلق مُحَمَّد عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمَبْعُوثُ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ.

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ(١)، وبعد: فقد وفقنيَ الله تعالى للكتابة عن الذين حملوا مشاعل الدعوة إلى الله، وتحملوا في سبيلها الصعاب الجسام، وأنفقوا من أجلها الغالي والنفيس، وتحملوا الأذى، ونهجوا خُطى سيد المرسلين، وأنفقوا أموالهم على إقامة جهده العظيم، وضحوا بأوقاتهم واستغلوا سني أعمارهم في نشر الدين وتربية الدعاة المخلصين، وتعليمهم منهج سيد المرسلين،

(١) من مقدمة إغاثة اللهفان لابن القيم.

ومن تبعه من الصحابة والتابعين، وقصوا عليهم قصص الأنبياء والمرسلين، واستخرجوا منها أصول الدعوة إلى الله رب العالمين.

وبفضل من الله قد وفقني الله تعالى بأن كتبت الجزء الأول من الأمراء الثلاثة عن حياة الشيخ إلياس رحمه، ومنهجه في الدعوة إلى الله، وفي هـــذا الجزء نبين طرفا من حياة الأمير الثاني الشيخ يوسف الكاندهلوي والـــذي خلف أباه في جهد التبليغ والدعوة، وكذلك الأمير الثالث الشيخ إنعـــام الحسن، الذي خلف الشيخ محمد يوسف رفيق عمره في الجهد المبارك.

أخوكم

محمد على محمد إمام

فضيلة الشيخ

محمد يوسف الكاندهلوى

(رحمه الله)

نبـــذة عن حياة فضيلة الشيخ

محمد يوسف الكاندهلوى (رحمه الله)

• أسرته ومولده: في غربي الولاية الشمالية الهندية أتربرديش قريتان هما جهنجهانه وكاندهلة تسكن فيهما أسرة علمية ذات شرف ودين، وقـد عاش جدُّ هذه الأسرة الشيخ محمـد أشـرف(رحمـه الله) فـي عهـد الإمبراطور الهندي القديم شاهجهان.

واتفق علماء عصره على ديانته وتفقهه وورعه وإتباعه للسُنّة .

وقد أنجبت هذه الأسرة كثيرا من كبار العلماء والفقهاء والشيوخ منهم الشيخ المفتي إلهي بخش الكاندهلوى وكان من نجبـاء تلاميـذ المحـدث الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي وقد ألف أكثر من سـتين كتابـاً بالعربية والفارسية والأردية.

ومنهم الشيخ أبو الحسن، والشيخ مظفر حسين، والشيخ نور الحسن، والشيخ إسماعيل، ونجله الشيخ محمد إلياس(رحمهم الله) وكانوا مـن كبار العلماء في عصرهم.

• ولادته: ولد الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إسماعيل من هـذه الأسرة النجيبة في كاندهلة سنة ١٣٣٥ هجرية ١٩١٧ ميلاديـة وسـماه والده محمد يوسف وكان الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) حينئذ مدرسـا بالجامعة مظاهر علوم بسهانفور-الهند.

• نشأته: أدرك الشيخ محمد يوسف كبار الشيوخ والعلماء وقد شاهد منذ نعومة أظفاره أسرة عامرة بالعلم والورع فترعرع في المحيط العلمي وفي أحضان الأمهات الصالحات وبين تربية الشيوخ وعناية العلماء الأجلاء والصلحاء.

• دراسته: لقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، ثم تلقّى الدراسة الابتدائية والحديث الشريف من الصحاح الستة وغيرها من والده الداعية العلامة محمد إلياس أولاً ثم درسها ثانيا في المدرسة مظاهر علوم على كبار شيوخ الحديث، كالشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة، والشيخ منظور أحمد خان السهارنفوري، والشيخ عبد الرحمن الكامل، والشيخ محمد زكريا ابن عمه الكبير الذي اشرف على تعليمه وتربيته حتى تخرجه من مدرسة الحديث ١٣٥٤هجرية .

• اشتغاله بالعلم: كان الشيخ محمد يوسف مولعاً بالعلم فكان يقضي أكثر أوقاته في دراسة الكتب وتاقت نفسه إلى التأليف فبدأ بتأليف وشرح مستفيض على شرح معاني الآثار للطحاوي وسماه أماني الأحبار واستمر في هذا العمل الى آخر أيام عمره.

• تفويض أمور الدعوة إليه: لقد فوّض الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) إلى ابنه حمل أمانة الدعوة وأوصاه برعايتها وحفظها وكان الشيخ قد شاور كبار العلماء والمشايخ وأهل الحديث وقد أشاروا بذلك لما رأوا فيه

من التقوى والصلاح والقوة لأداء هذه الأمانة، ثم لبى والده نداء ربه ١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م.

كان الشيخ (رحمه الله) في حياة أبيه مشغولا بالعلم والتحقيق، فلم يلتفت إلى عمل الدعوة إلتفاتا كاملا، ولكن بعد وفاة والده صارت ذوقه ونداء قلبه، وقرة عينه، فتفرغ لها كليا، وانضم إليها بل ذاب فيها، وشغلت الدعوة جميع أوقاته، ليلا ونهاراً.

يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي(رحمه الله): كان الشيخ محمد يوسف في بعض الأحيان ينغمس في أعمال الدعوة، ويشتغل بها إلى حد أنه لا يجد وقتا لدخول بيته ولقاء أسرته شهورا عديدة.

ومرضت زوجته الأولى التي كانت كبرى بنات الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، بعد وفاة الشيخ محمد إلياس مرضا شديدا، وتدهورت حالتها الصحية بمر الأيام، وأصبحت خطيرة إلى الغاية، ولكن الشيخ محمد يوسف لاشتغاله التام بأعمال الدعوة لم يجد وقتا لزيارتها، والاهتمام بعلاجها وعبادتها، ولما سألتها زوجة الشيخ محمد منظور نعماني عن سبب هذا الانشغال الكامل عن عيادتها، فقالت لها زوجة الشيخ محمد يوسف: إنه مشغول كل الوقت بأمور الدعوة، فلا تهمه نفسه أيضا، وقد قلت له: أن لا يفكر بي، وإن علاج المرض يجري، فإن كان مثوانا الجنة اجتمعنا وعشنا بسلام هناك.

• عمل الدعوة والتبليغ: فوجئ الشيخ محمد يوسف بتحول كبير في حياته بعد وفاة والده، فقد نشأ فيه من دافع التبليغ الدعوة ما جعله لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار، رغم اشتغاله بالعلم والتأليف، فاشتغل بتوجه تام وتحولت حياته إلى شغل الدعوة والتبليغ حتى أخذت عليه كل لحظات حياته، وأصبح التبليغ شعاره ودثاره، وقد وواجه كل عنت وإرهاق في إلقاء الخطب والرحلات الدعوية وتنظيم الاجتماعات في مدن الهند وباكستان وتوجيه الجماعات للدعوة إلى خارج دلهي، فلم يكن يستريح في الليل ولا في النهار وكان همه أن يهتدي الناس وينغمسوا في رحمة الله تعالى، وكان متواصل الأحزان دائم الفكرة في إيصال الخلق إلى الحق كل حين وآن، وكان يبذل كل وقته في عمل الدعوة والتبليغ، والكلام في المجالس، وحلقات التعليم، واجتماعات الشورى.

• فكر دائم: عنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدًا، قُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَهُ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، لا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السَّكْتِ، يَفْتَحُ الْكَلامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَصْلا لا فُضُولَ فِيهِ، وَلا تُقْصِيرَ، دَمِثٌ لَيْسَ بِالْجَافِي، وَلا بِالْمَهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ ، وَلا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا، لا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُوطِيَ الْحَقَّ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ

شَيْءٌ، حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، يَضْرِبُ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَاطِنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى"(١).

فإن المتأمل في الذين حباهم الله بحق وراثة الأنبياء، يجدهم قد ورثوا هَمَّ نبيهم وفكره.

يقول الشيخ محمد الحسن الثاني: كان الشيخ محمد يوسف في فكر دائم وهم شاغل، كأنه على أحر من الجمر، مضرب البال، قلق النفس، يقلقه وضع المسلمين، ويطير من عينه أمر الدين، فكان في نومه ويقظته، وفي استقباله للضيوف، وفي حديثه مع الناس على الفطور، وفي غذائه وعشاءه، وفي كل وقت من أوقاته داعيا مبلغا، يتنفس الصعداء، يراه الناظر كأنه يتململ تململ السليم، يبدي ألمه وحزنه، ويتحسر ويقول: يا الله ماذا أفعل، وأحيانا يقول: ليت الإسلام كانت له جولة وصولة، وكان له وجود حقيقي في أي جزء من أجزاء العالم.

• الرحلات الدعوية: أما الرحلات التي قام بها الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) لتعميم عمل الدعوة، والاجتماعات التي عقدها لنشر فكرة التبليغ في الناس، فكثيرة لا يأتي عليها الحصر، وقام برحلات واسعة جدا ، فسافر إلى باكستان الغربية والشرقية وكان الشيخ محمد يوسف يرى أن العرب هم أهل هذه الدعوة العظيمة في الحقيقة قبل سائر الناس، لأنهم

(١) أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني » صفة منطقه وألفاظه صلي الله عليه وسلم (١٩٦).

قوم اختارهم الله تعالى قبل غيرهم، وفي دمائهم وعروقهم سرت دماء الصحابة الذين بذلوا مهجهم ونفوسهم للدين والدعوة إليه، ولذا كان حريصا أن يرى عمل الدعوة والتبليغ في مهد الإسلام مكة والمدينة، وينال من أهلهما إقبالا وعناية، وكان يعتقد أن هذه الدعوة إذا تأصلت جذورها في هذه الأرض المقدسة، تستطيع أن تنتشر في العالم كله عن طريق المسلمين الذين يجتمعون فيها لتأدية فريضة الحج كل عام من جميع أنحاء العالم، ولذلك بدأ العمل في ميناء كراتشي وبمباي حيث قامت جماعات الدعوة تغرس فكرتها في الحجيج الذين يزورون مكة والمدينة، فإذا تشرّبوا فكرة الدعوة والتبليغ يتمكنون من أداء الدعوة إلى الله ويصبحون خير أداة لنشرها بينهم. ووصل إلى الحجاز فزار مقرهم وبعث العلماء فيهم وأقيمت حلقات التعليم في الحرمين الشريفين، وأرسل الجماعات إلى الأقطار العربية والأقطار الإفريقية كمصر والسودان والعراق والأردن والشام، كما استمر الشيخ محمد يوسف بإرسال الجماعات إلى مختلف أنحاء آسيا وإفريقيا وأوروبا وقد كان لبياناته الأثر الكبير في زيادة القوة الإيمانية التي دعتهم إلى تحمل المشقات والنفقات الكثيرة في سبيل الله تعالى.

ولقد تشرف الشيخ محمد يوسف(رحمه الله) بالحج ثلاث مرات وقد تمكن من هذه الرحلات من عقد الاجتماعات في الحجاز والتجوال في القرى والمدن واللقاء مع جم غفير من الناس، وقد تمتع بعمرتين سوى الحج واعتمرت معه جماعات كثيرة من الأقطار العربية.

• خَلقَه وخُلُقه: وقد كان الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) متوسط القامة وضئ الوجه ضخم الجثة أسود اللحية كثير الشعر منبسط الوجه في عينيه بريق وجاذبية وإذا رأيته أول مرة حسبته مستغرقا في الفكر الطويل وأخذتك مهابة عظيمة منه ولكن سرعان ما تزول الهيبة ويحل محلها الائتلاف والإنس وكل جليس يعتقد أنه أقرب لديه من الآخرين.

كان لا ينطق إلا بأمور الدين ولا يسمع سوى كلام الدين.

كان صافي الذهن مملوء الصدر باليقين والإخلاص.

كان واسع العلم والمعرفة وخاصة فيما يتعلق بالعهد النبوي وعهد الصحابة والتابعين.

كان دائم الابتسامة لكن قلبه يحترق هماً وبعد قليل يتنفس الصعداء.

من لم يرى الشيخ عن قرب يصعب عليه إدراك حاله وخُلقه، ومن رآه من قرب، وصحبه عرف أنه كان آية من آيات الله في العصر الحاضر، وكان يسهل علي الإنسان إدراك خلق النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بعد رؤيته وصحبته رحمه الله.

• خصائصه ومميزاته: لقد أكرم الله ﷻ الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) بخصائص ثمينة جمة، ولا شك أن شغفه الزائد بالدعوة إلي الإيمان بالغيب، واتساع الانهماك، وقوة التأثير الذي تمتع به الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) يتعذر نظيره في التاريخ المعاصر، وقد وجد في شخصيته علا فيها كعبه، فإن قوة إيمانه وتوكله على الله ﷻ، وهمته العالية

وشجاعته، وصلاته الخاشعة، ودعاءه الخاص، واطلاعه الواسع على حياة الصحابة الكرام، واتصاله العميق بأحوالهم واهتمامه البالغ بإتباع السنة، وفهمه للقرآن، واستخراجه لنتائج عظيمة من حياة الأنبياء عليهم السلام، وقوة جمعه بين الأعمال المتباينة من التأليف والدعوة، وإيمانه وثقته بالله وتوكله عليه، وثقته بنفسه، ودعوته العامة، وحماسه الخطابي، ودعوة العامة، وصبره وعزيمته، وجهده المتواصل، وتواضعه، واتصاله الشديد بالله، ثم شدة إعجاب الناس به، كل ذلك نواح لامعة وصفات عظيمة في حياته، يصدق بها أولئك الآلاف المؤلفة من الناس الذين قضوا معه بعض الوقت، أو سعدوا برفقته في سفر.

إنه عندما كان يلقي كلمته حول صفات الله وذاته، وضآلة الأسباب، وصدق وعد الله، بأسلوبه الخطابي الأخّاذ يحول مستمعيه لمدة من الزمان من عالم المادة إلى عالم يقوم على الإيمان بالغيب وحده، وعندما كان يوجه الدعوة إلى الناس ويدعوهم إلى الله يبهرهم بانهماكه الشديد في دعوته، وانصرافه التام إلي عقيدته، ولذلك كانت خطاباته وصحبته لهما تأثير عظيم في نفوس المجتمعين والوافدين عليه، وقد كانت تتغير حياتهم من أول يوم حتى في الشكل والأخلاق والمعاشرة وطريقة التفكير والكلام.

أما دعاءه فكان له تأثير عجيب في النفوس، كان لا يترك الحاضرين إلا وأبكاهم أحر البكاء، وجعلهم يتململون ويضطربون تململ السليم، لا يتمالكون علي أنفسهم، ولا يشعرون بما حولهم، ويرتج الجو بصوت آمين.

لم يقتنع الشيخ بما أكرمه الله به من التوفيق والقوة والعزة، بل إن قلقه المتزايد واضطرابه الشديد، وسرعته النادرة، كل ذلك مكنه من إنجاز الأعمال في أقل مدة وأسرع وقت، وقد حالفه التوفيق في إرسال الجماعات إلى أقطار جديدة وبلاد بعيدة، وأصبح العالم كله كوطنه الأصلي.

إنه نفخ في عبادة الحج روحا جديدة وجعلها وسيلة للدعوة والتبليغ، وعقد اجتماعات كبيرة حافلة حاشدة من الناس، تضاءلت أمامها المؤتمرات السياسية الكبيرة، وكل هذه الأعمال أنجزها الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) في خلال عشرين عاما فقط، واهتدي به خلق كثير، أنعم الله عليهم بالورع والتذوق في العبادة، والعاطفة الجياشة .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي(رحمه الله): إن قوة الإيمان بالغيب والشغف بالدعوة، والاشتغال بها، والتضحية لها، وقوة التأثير التي شاهدتها في شخصية الشيخ محمد يوسف لم أشاهدها في أي شخصية أخرى في هذا العصر، ولو أنه كان جامعا لخصال ومزايا خلقية كثيرة، فكان يفوقه فيها غيره، إلا أن قوته الإيمانية، وثقته بالله تعالى وتوكله، وهمته العالية، وجرأته وصلاته ودعاءه، وابتهاله وتضرعه، وصلته الوثيقة بحياة الصحابة ومعرفته الدقيقة لها، واستحضار لقصصهم وحياتهم، واهتمامه باتباع السُنة، وفهمه للقرآن الكريم، واستخراجه للنتائج الدقيقة من حياة الصحابة واشغاله بالدعوة والتأليف في وقت واحد، وإن كان العملان متناقضان وصلاحيته للجمع بينهما، وأخيرا وليس

آخرا، شعبيته الفائقة، ومكانته في النفوس، وإقبال الناس عليه، وتدفقهم إليه، كل ذلك من مزاياه الشخصية التي يمكن أن تفصل تفصيلا وتؤلف عليها الأسفار، ويصدق كل لفظ منها من حضر مجلسه، أو سعد بالاشتراك في عمل الدعوى تحت إشرافه ورعايته، أو رافقه في أسفاره، ويعدُ مثل هؤلاء الناس بالآلاف.

• **خواطره وأحاسيسه:** كان الشيخ محمد يوسف يري أن الحفلات العامة، ودراسة الكتب، لا يغيران وحدهما في الوضع ولا يبعثان دافع الإيمان والثقة في النفس، لذا كان يري أنه لا بد من تغيير الباطن، وتزكية الأخلاق والأعمال، وإجلال العلم والعلماء، والثورة الدينية في النظام كله، والتضحية والكفاح، والاتصال بالله، وتحمل المشاق في سبيله، واحترام الأصول والمبادئ، والاجتماعات الدينية والاتصال بالجماهير، وتشكيل الجماعات، ومطالبة الناس ببذل النفس والمال في سبيل الله، وحلقات التعليم، والشورى والدعاء، وقد مر هو نفسه بهذا الطريق، ومهد لكثير من الناس .

• **مؤلفاته:** لقد كان له دور كبير في تأليف الكتب على الرغم من جميع الأعمال التي كان له فيها سهم كبير- ومن الجدير بالذكر في مؤلفاته كتابان: أحدهما أماني الأحبار الذي كان يحتوي على أربع مجلدات ضخمة وقد بدأ في تأليفه مع بداية دراسة شرح معاني الآثار ١٣٥٤ هجرية وقد طبعت منه أربعة أجزاء، وقد احتوت على شرح حوالي ربع الكتاب،

ووصل فيه إلى شرح باب الركعتين بعد العصر، وهذا الكتاب دليل على سعة اطلاعه على الحديث والآثار ومعرفة رجاله وعلى آثار الصحابة وآرائهم.

وثانيهما حياة الصحابة وفيه شهادة كافية على تبحره في السيرة النبوية وأحوال الصحابة، ولاشك أنه ذخيرة علمية نادرة ومرآة لحياة الصحابة الدعوية وسلوكهم وأخلاقهم، إن لهذا الكتاب تأثيراً أيّ تأثير.

• **وفاته:** لقد قام الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) برحلة طويلة إلى باكستان بعد رجوعه من الحج بعام بدأها يوم من شوال سنة ١٣٨٤ هجرية وانتهت بوفاته رحمة الله عليه يوم الجمعة ٢٩ ذي القعدة في العام نفسه المصادف ٢ إبريل سنة ١٩٦٥ ميلادية، وقد زار الشيخ محمد يوسف جميع المدن الكبرى في باكستان الشرقية – هي دولة بنجلاديش الآن وقد عقد فيها اجتماعات كبرى لا نظير لها في التاريخ القريب من كثرة الوافدين عليها والحاضرين فيها ما أتعب قلبه وأوهن جسده وما أثر على صوته المدوي المجلجل، وأورث السعال والحمى، لكنه لم يبال بشيء من ذلك، واستمر في أداء واجبه رغم كل هذا التعب والمرض ، وأخيرا ألقى كلمة في حفل (بلاهور) قبل عودته إلي الهند، علي شدة مرضه وتعبه ، ولقد اشتد به المرض بعد الانتهاء من إلقاء كلمته، فأسرع به الناس إلي مقره، وما كاد يصل إليه حتى غُشي عليه، وظل يعاني من الشدة والألم طول الليل، وفي اليوم التالي وكان يوم الجمعة، نُقل إلي

المستشفي، ولكنه قبل أن يصل إليه استأثرت به رحمة الله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان رحمه الله يردد قبل وفاته هذه الكلمات: لا اله إلا الله، الحمد لله الذي أنجز وعده، لا اله إلا الله محمد رسول الله، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

وحينما احتضر كان يردد التهليل والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ وكانت تعلو البسمة على وجهه بعد ما توفي.

وساد الحزن على جميع الناس وطار الخبر إلى البلدان وكان لنعيه في الأقطار الإسلامية حزن عميق في النفس، واجتمعت جماعات كثيرة من الناس إلى جنازته وصلوا عليه في لاهور ثم حمل جثمانه ليلا إلى دهلي بالطائرة، وقد صلى عليه عدد كبير وجم غفير، ما يقارب سبعين ألف مسلم، وقد أم بالناس فضيلة الشيخ المحدث محمد زكريا – نور الله مرقده – ودفن بجوار والده الشيخ محمد الياس(رحمه الله) في نظام الدين بدلهي.

• أهله وأولاده: لقد خلّف الشيخ محمد يوسف ولدا نجيبا اسمه الشيخ محمد هارون (رحمه الله) كان يسير على طريقة والده ويتأسى به، وقد توفى حال شبابه عن ٣٥سنة سنة ١٣٩٣هجرية. وخلّف زوجته ووالدته

التي توفيت بعد وفاته بخمسة أشهر وكانت رحمها الله لا نظير لهـا فـي زمانها في الورع والتقوى(١).

وبارك الله لنا في شيخنا الشيخ سعد هارون حفيـد الشـيخ محمـد يوسف وهو أمير الدعوة والتبليغ في العالم كله.

(١) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب سيرة الشيخ محمد يوسف لمؤلفه باللغة الأردية الأستاذ محمد الثاني الحسني، وقد نقلها إلي العربية الأستاذ سعيد ألأعظمي الندوي بتوجيه من الأستاذ أبي الحسن الندوي حفظهما الله تعالي (حياة الصحابة – في المقدمة) .

بعض بيانات

الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله)

كيف تكونت الأمة المسلمة ؟

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (١) .

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ " رواه أبو داود في باب العصبية(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول: مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .

(٢) مشكاة المصابيح باب المفاخرة ١٣٧٤/٣.

(٣) مشكاة المصابيح » كتاب الإمارة والقضاء _ رقم الحديث (٣٦٦٩).

أيها الأحباب: ما اكتحلت بالنوم في البارحة لأنني مريض، لكن أقوم بالبيان للضرورة، وأهمية الموضوع فمن عمل به بوعي رفعه الله، ومن لم يلتفت إليه خاب وخسر.

الذي يعمل بعد الفهم الله ﷻ ينوره، وينور حياته، وإلا يكون كالذي يقطع رجله بيده.

إن هذه الأمة ظهرت إلى الوجود، برحمة عظيمة وجهد جهيد، بعد المصائب والمشاق، فقد تحمل النبي ﷺ، وأصحابه البررة الكثير من الأذى والشدائد والمحن في سبيلها.

وأعداؤهم من اليهود والنصارى اجتهدوا على ألا يكون المسلمون أمة، بل يكونوا متفرقين.

فاليوم المسلمون فقدوا حياتهم كأمة، حينما كانوا أمة واحدة كان لهم وزن في العالم وكان الناس يخشونهم، وما كان عندهم بيوت رفيعة، ولا مساجد مشيدة، حتى ما كان في المسجد النبوي مصباح ولا نور، حتى السنة التاسعة من الهجرة، وفى نهاية السنة التاسعة من الهجرة، دخل معظم العرب في الإسلام، وقبائل شتى، وأقوام شتى، وألسنة مختلفة كونوا أمة، بعدها نوروا المصباح في المسجد.

إن المسلم اليوم في محنة عظيمة، لأنه ترك صفته كفرد أمة، وطمس معالم طريق النبي ﷺ، وعفا آثارها، أقول هذا بحزن قلبي، كل هذه المحن والدمار يرجع إلى تشتت هذه الأمة وتفرقها، بل إننا نسينا ما هي الأمة، وكيف أنشأ الرسول ﷺ هذه الأمة.

الرسول ﷺ جاء بنور الهداية.. الذي قام هـو وأصـحابه رضـي الله عنهم بنشره فى العرب وخارج العرب .

ولما تكونت الأمة المسلمة قامت بالدعوة إلى الله ﷻ، فما يخرجون إلى بلد من البلدان إلا وأهلها يستسلمون أمامهم .

كيف تكونت هـذه الأمة ؟

حب الله وحب رسول الله ﷺ جمع بينهم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَـوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمان مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾[1] .فما كان منهم رجل واحـد يـتحمس لأسـرته أو لحزبه أو لقومه أو لوطنه أو للسانه، وما كان يلتفت إلى المـال والعقـار ولا الأهل ولا الأولاد بل كل واحد يصغ لأمر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أصبحت هذه الأمة أمة واحدة، عندما نسي كل فرد من أفرادها: مـا هي أسرته؟ وما هي قبيلته؟ وما شعبه؟ وما وطنه؟ وما لغته؟ لايؤثر ماله ولا ضيعته، ولا زوجه، ولا أولاده على مصلحة الأمة، وإنما كان معيـاره الوحيد ما يقوله رسول الله ﷺ، وما يأمر به.

لا تتكون الأمة إلا إذا زالت جميع العلاقات والصلات والروابط التـي تحول دون أحكام الله ورسوله،

---

(١) سورة الحشر– الآية ٩ .

عندما كان المسلمون أمة واحدة ، كانت تهتز وتضطرب إذا قتل مسلم منهم في أي بقعة فكل الأمة تقوم ولا تقعد(١)، والآن يذبح آلاف من المسلمين ومئات الألوف ولا يتحرك ساكنا.

إن السبب الرئيسي لدمار الأمة الإسلامية وهزيمتها في ميدان الحياة، هي العصبية القومية والإقليمية التي تكتسح العالم الإسلامي كله اليوم، والتي اقتبسوها من ((أوربا)) خلال الاستعمار، ولذلك رغم انسلاكهم في سلك الكلمة يتحاربون ويتقاتلون.

الأمة ليست اسم لقومٍ أو قبيلةٍ بمنطقةٍ خاصة، بل تتكون الأمة بالآلاف من الأقوام والبلدان، أما الذي يفهم أنها قومه ودولته، والذين خارجهم ليس منهم .. فهذا الذي يذبح الأمة ويمزقها تمزيقا، ويقطع الشجرة التي غرسها الرسول ﷺ والصحابة الكرام رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ بعد جهد عظيم.

---

(١) فقد كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم ، وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فلم تفعل فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله (وكان يهوديا) فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فأغضب المسلمون .

وذكر الواقدى: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصرهم خمس عشرة ليلة، إلى هلال ذي القعدة وكانوا أول من غدر من اليهود وحاربوا حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكمه ، وأن له أموالهم ، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت فلحقوا بأذرعات (بلد بالشام) تاريخ الإسلام للذهبي/٤٠٣.

فنحن الذين نقوم بذبح الأمة بعد أن تمزقنا وتفرقنا، بعد ذلك قام أعداء الأمة من اليهود والنصارى بتقطيعها (قطعاً قطعا) .

فاليوم لو اجتمع المسلمون على صعيد واحد وكونوا أمة، عاد إليهم عزهم ومجدهم، ولا تستطيع قوى العالم كله أن تصيبهم بسوء، فالدنيا كلها ما تستطيع أن تأخذ منهم شبراً واحداً، ولا تستطيع القنبلة الذرية ولا الأسلحة الحديثة أن تدمرهم .

ولكنهم إذا وقعوا فريسة للقوميات والعصبيات الإقليمية واللغة والمنطقة، وانغمسوا فيها، وتفرقوا وقطعوا هذه الأمة إربا إربا، فأشهد الله ! أن أسلحتكم وجنودكم مهما تكاتفت وتجمعت وتكسدت، لا تفيدكم ولا تغنيكم شيئا، وما تستطيع أن تنقذكم من الورطة مع العدو.

فاليوم يُضرب المسلمين في أنحاء العالم، ويموتون لأنهم فقدوا صورتهم كاملة.. هذا كله من حديث القلب الذي يتقطع ألما على الأمة .

فكل هذه المصائب والمحن سببها واحد، هو أن الأمة ليست أمة بل المسلمون نسوا ما هي الأمة ؟ وكيف قام الرسول ﷺ بتشكيلها .

فالكفاية والنصرة للأمة لا تأتى بمجرد وجود فقط الصلاة والذكر والمدرسة الدينية فقط .. فابن ملجم الذي قتل عليا ﷺكان من المصلين والذاكرين لآخر لحظة في حياته فحينما قبضوا عليه وأرادوا أن يَقْطَعُوا لِسَانَهُ فَجَزِعَ، وَقَالَ: إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَمُرَّ عَلَيَّ سَاعَةٌ لَا أَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا. ثُمَّ قَطَعُوا لِسَانَهُ، مع هذا قال الرسول ﷺ: " قاتل على أشقى رجل في

أمتي "[١] وتعليم المدرسة أيضاً قد قاما به أبو الفضل والفيضي(٢)، وكان من كبار العلماء، حتى قاما بتفسير القرآن بدون النقط، وهما اللذان قاما بتضليل وإفساد أحد كبار الملوك .

---

(١)عَنْ عُثْمَانَ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِينَ ؟ "، قُلْتُ: عَاقِرُ النَّاقَةِ، قَالَ: " صَدَقْتَ ، فَمَنْ أَشْقَى الآخِرِينَ ؟ "، قُلْتُ: لا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ " وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَافُوخِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: " وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدِ انْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ فَخَضَّبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ "(مسند أبي يعلى الموصلي » مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رقم الحديث: ٤٧٦).

(٢) أبو الفضل، أخ شقيق للفيضي أصلهما من اليمن، كان جدهما خضر قد قدم الهند لغرض السياحة، وأقام في ناكور، وكان لا يعيش له ولد؛ ولما ولد له مولود عام ٩١١هـ سماه مباركاً، مبارك بن خضر الناكوري (٩١١هـ - ١٠٠١هـ)، ولما شب المولود سافر إلى إقليم كجرات وتتلمذ على الخطيب أبي الفضل الكاذوراني، والشيخ عماد الطارمي، كما درس عند علماء آخرين، واهتم بعلم التصوف وفاق فيه الأقران.

ثانياً: الشيخ أبو الفيض فيضي: هو: أبو الفيض فيضي بن مبارك بن خضر الناكوري(٩٥٤هـ - ١٠٤٤هـ).

ثالثاً: الشيخ أبو الفضل: هو أبو الفضل بن المبارك بن خضر الناكوري (٩٥٨-١٠١١هـ). وهما الذين أضلا الملك أكبر ملوك الهند في زمانهما، والذي غير الدين وابتدع العقيدة الألفية: وتتلخص هذه العقيدة في انتهاء صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبداية شريعة جديدة للبشر، وابتكر هذه الفكرة، ولأول مرة (محمود بسيخواني) مؤسس الفرقة النقطوية.

ودخلت هذه العقيدة في القارة الهندية عن طريق الدعاة النقطويين، الذين غادروا (إيران)، وتوجهوا إلى (الهند) أيام الملك (أكبر)، وكان (أبو الفضل) – العقل المدبر للمذهب الأبري – من النقطويين متشبعاً بالفكرة الألفية، أفهم الملك أنه قد مضى على الإسلام ألف سنة، ويبدأ الألف الثاني، وإن الدنيا مع بداية الألف الثاني يجب أن تستأنف عهداً جديداً، فلا بد لها إذاً من شريعة جديدة، ومشرع جديد، وحاكم جديد، وليس في العالم لهذا المنصب الجليل إلا أكبر صاحب التاج والعرش، والإمام العادل والعاقل.

فكيف الصفات التي كانت في ابن ملجم وأبو الفضل والفيضي تستطيع أن تتكون الأمة وتستحق نصرة الله ﷻ ؟ !

الشيخ اسماعيل شهيد والشيخ سيد احمد شهيد ورفقاؤهما كانوا على قمة من صفات الدين حينما وصلوا الى منطقة سرهد وجعله الناس أمير عليهم فوسوس الشيطان على بعض منهم فقالوا هؤلاء ليسوا من منطقتنا ، فقاموا بالثورة عليهم فاستشهد كثير منهم .

فالمسلمون بأنفسهم قاموا بتمزيق الأمه بسبب عصيبة المنطقة فالله سبحانه وتعالى سلط عليهم الإنجليز انتقاماً منهم وكان الإنجليز عذاب من الله.

أيها الأحباب : قومي.. ومنطقتي.. وأسرتي.. ومسجدي.. هذه الكلمات تمزق الأمة وتفرقها، وهذه أبغض الأشياء عند الله ﷻ .

وأي رجل يقوم بتمزيق الأمة على أساس القوم أو المنطقة ، فالله سبحانه وتعالى يعاقبه، وتتمزق الأمة حينما يقوم أي شخص من الناس أو طبقة من الناس بظلم غيره وأذيته واحتقاره ولا يعطيه حقه .. فمن هنا تتمزق الأمة .

يقول المؤرخ عبد القادر البدايوني: ولما كان الملك قد اقتنع أن مدة ألف سنة بعد البعثة النبوية –وهي العمر الطبيعي لهذا الدين– قد انقرضت فلم يبق هناك ما يحول دون إبداء تلك الرغبات الكامنة في الصدر).. وبعد نضج هذه العقيدة عند الملك، شرع في اتخاذ ما يلزم لنشر هذه العقيدة بين الجماهير، ولترسيخها في أنحاء الدولة(الباب الخامس عشر: الفرق المنتسبة للإسلام في الهند » الفصل السادس: فرقة الأكبرية » المبحث الأول: نشأتها وتاريخها » المطلب الأول: نشأتها(موقع الدرر السنية).

فكيف تتكون الأمة ؟

تتكون الأمة حينما يقوم كل الناس بالعمل الذي قام بـــه الرســـول ﷺ وألقى المسئولية على أمته من بعده.

ولا تتكون الأمة بالكتابة والتسبيح فقط ، بل تتكون الأمة بعد أن نقوم بإصلاح العبادات والمعاملات والمعاشرات والأخـــلاق ونـــؤدي الحقـــوق لأصحابها .. وأكثر من هذا نؤثر الغير على أنفسنا ونضحي بمصالحنا من أجل مصالح الغير.

فالرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وباقي الصحابة رضي الله عنهم قاموا بالتضحية بما كان عندهم ، وتحملوا المشـــاق وكونـــوا الأمة المسلمة .

أخرج ابن سعد والبيهقي: عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَـــبٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، يَقُولُ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ عِنْـــدِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ لِي: " بِمَاذَا قَدِمْتَ ؟ "، قُلْتُ: قَدِمْتُ بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ: " إِنَّمَا قَدِمْتَ بِثَمَانِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ "، قُلْتُ: بَلْ قَدِمْتُ بِثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ: " أَلَمْ أَقُلْ لَـــكَ إِنَّكَ يَمَانٍ أَحْمَقُ، إِنَّمَا قَدِمْتَ بِثَمَانِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَمْ ثَمَانُ مِائَةِ أَلْفٍ ؟ "، فَعَدَدْتُ مِائَةَ أَلْفٍ وَمِائَةَ أَلْفٍ حَتَّى عَدَدْتُ ثَمَانَ مِائَةِ أَلْـــفٍ، قَـــالَ: " أَطَيِّبٌ ؟ وَيْلَكَ "، قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: فَبَاتَ عُمَرُ لَيْلَتَهُ أَرِقًا (١)، حَتَّـــى إِذَا

(١) أي ذهب عنه النوم .

نُودِيَ بِصَلاةِ الصُّبْحِ، قالتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا نِمْتَ اللَّيْلَ ، قَالَ : كَيْفَ يَنَامُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَدْ جَاءَ النَّاسَ مَا لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ مِثْلُهُ مُنْذُ كَانَ الإِسْلامُ، فَمَا يُؤْمِنُ عُمَرَ لَوْ هَلَكَ وَذَلِكَ الْمَالُ عِنْدَهُ فَلَمْ يَضَعْهُ فِي حَقِّهِ ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقَالَ لَهُمْ : " إِنَّهُ قَدْ جَاءَ النَّاسَ اللَّيْلَةَ مَا لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ مُنْذُ كَانَ الإِسْلامُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، رَأَيْتُ أَنْ أَكِيلَ لِلنَّاسِ بِالْمِكْيَالِ "، فَقالوا: لا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلامِ وَيَكْثُرُ الْمَالُ، وَلَكِنْ أَعْطِهِمْ عَلَى كِتَابٍ، فَكُلَّمَا كَثُرَ النَّاسُ كَثُرَ الْمَالُ أَعْطَيْتَهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: " فَأَشِيرُوا عَلَيَّ بِمَنْ أَبْدَأُ مِنْهُمْ "، قَالُوا: بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ ، قَالَ: " لا، وَلَكِنْ أَبْدَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ إِلَيْهِ "، فَوَضَعَ الدِّيوَانَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: بَدَأَ بِهَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ فَأَعْطَاهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَعْطَى بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمَّ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَإِنَّمَا بَدَأَ بِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنَّهُ كَانَ أَخَا هَاشِمٍ لأُمِّهِ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : فَأَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فِي الدَّعْوَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَذَكَرَ فِي ذَلِكَ قِصَّةً . (١) .

وعند ابن سعد والطبري: عَنْ أَبِي الْحُوَيْرِثِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ بْنِ نُقَيْدٍ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَدْوِينِ الدِّيوَانَ،

(١) حياة الصحابة _ باب الإنفاق – تدوين عمر رضى الله عنه الديوان للعطايا ٢٠٣/٢ .

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : تُقَسِّمُ كُلَّ سَنَةٍ مَا اجْتَمَعَ إِلَيْكَ مِنْ مَالٍ وَلا تُمْسِكُ مِنْهُ شَيْئًا . وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: أَرَى مَالا كَثِيرًا يَسَعُ النَّاسَ وَإِنْ لَمْ يُحْصَوْا حَتَّى تَعْرِفَ مَنْ أَخَذَ مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْ، خَشِيتُ أَنْ يَنْتَشِرَ الأَمْرُ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ جِئْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُ مُلُوكَهَا قَدْ دَوَّنُوا دِيوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا ، فَدَوِّنْ دِيوَانًا وَجَنِّدْ جُنُودًا ، فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ ، فَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَخْرَمَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ، وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ، وَكَانُوا مِنْ نُسَّابِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : " اكْتُبُوا النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ "، فَكَتَبُوا فَبَدَءُوا بِبَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ أَتْبَعُوهُمْ أَبَا بَكْرٍ وَقَوْمَهُ ، ثُمَّ عُمَرَ وَقَوْمَهُ عَلَى الْخِلافَةِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، قَالَ: " وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ هَكَذَا، وَلَكِنِ ابْدَءُوا بِقَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ، حَتَّى تَضَعُوا عُمَرَ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ " (١) ، بهذه الطريقة صارت أسرة عمر في آخر القائمة ونصيبهم غير كثير ولكن عمر رضي الله عنه حكم بهذا وجعل قبيلته لأخذ المال في هذه المنزلة.. بهذه التضحيات تكونت الأمة .. وكان كل واحد منهم يجتهد لتوحيد الأمة .

وفى تكوين الأمة وتمزيقها أكبر دور للسان.. فكلمة واحدة تمزق الأمة، وكلمة واحدة توحد الأمة، بعض الأحيان يلفظ الإنسان كلمة خاطئة فتكون فيها مفسدة فيتقاتل الناس وتقع الفتنة بينهم ولذا جاء في الحديث

(١) المرجع السابق .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ " رواه البخاري (١) .

فلا بد علينا أن نراعى ألسنتنا، وهذا لا يمكن إلا إذا تصور الإنسان أن الله معه في كل حين ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (٢)، يسمع كلامه ويرى مكانه .

ومعروف قصة الأوس والخزرج في المدينة والعداوة التي كانت بينهما، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ودخل الأنصار في حظيرة الإسلام تلاشت هذه العداوة ببركة الرسول ﷺ والإسلام، وكانوا فيما

---

١) مشكاة المصابيح – باب حفظ اللسان والغيبة والشتم – ٣/١٣٥٦. وقد روي برويات أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨). ورواه أحمد (١٥٤٢٥) والترمذي (٢٣١٩) وابن ماجه (٣٩٦٩) عن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ) . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١١/ ٣١١): "قوله: (لا يلقي لها بالا) أي: لا يتأملها بخاطره ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثر شيئا، وهو من نحو قوله تعالى: (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وقد وقع في حديث بلال بن الحارث المزني الذي أخرجه مالك وأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم بلفظ : (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة) وقال في السخط مثل ذلك.

(٢) سورة الحديد – الآية ٤ .

بينهما كالسكر والحليب، وكالسمن والعسل، فالأعداء من اليهود حينما شاهدوا ذلك كرهوه جدا وفكروا كيف يقوموا بالتفرقة بينهم مرة أخرى ؟.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، قَالَ: مَرَّ شَأسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا (١) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَظِيمَ الْكُفْرِ، شَدِيدَ الضِّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُلْفَتِهِمْ، وَصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الإِسْلامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ مَلأُ بَنِي قَيْلَةَ (٢) بِهَذِهِ الْبِلادِ، لا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنَ يَهُودَ وَكَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ(٣) وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الأَشْعَارِ، وَكَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَفَعَلَ، فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكَبِ، أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ

(١) وفي بعض الروايات فدعا : أى كبير

(٢) أم الأوس والخزرج .

(٣) بعاث : مكان ويقال حصن وقيل مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الأوس والخزرج قتل فيه كثير منهم وانتصرت الأوس على الخزرج وذلك قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربعين سنة ، قال الحافظ والأول أصح .

الأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ وَاللَّهِ رَدَدْنَاهَا الآنَ جَذَعَةً (١)، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا ، السِّلاحَ السِّلاحَ، مَوْعِدُكُمُ الظَّاهِرَةُ – وَالظَّاهِرَةُ : الْحَرَّةُ – فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، وَتَحَاوَزَ النَّاسُ، فَانْضَمَّتِ الأَوْسُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، عَلَى دَعْوَاهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ ، فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهَ اللَّهَ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللَّهُ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا ؟ "، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَأَلْقَوُا السِّلاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَبَكَوْا وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ: { يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا }(٢) ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) أى أحدثنا الحرب .

(٢) سورة آل عمران ـ الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .

فِي أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ ، وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأسُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: { يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ إِلَى قَوْلِهِ .. وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }(١) (٢).

وأنزل الله ﷻ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٣).

فالإنسان عندما يخاف من الله ﷻ ويتقيه في كل أحواله كما جاء في الحديث " اتَّقِ اللّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " (٤) ، فالشيطان لا يستطيع أن يضله.. والنتيجة تتحصن الأمة من سائر الفتن ولا تكون الفرقة، قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ (٥) الشيطان معكم.

فالعلاج حتى لا نقع في حبائل الشيطان أن نقوم بالدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إلى

---

(١) سورة آل عمران _ الآيات من ١٠٠ : ١٠٥ .

٢) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد – محمد يوسف الصالحى الشامى – ٣/٥٨٠ ، ومختصر تفسير ابن كثير – ١ / ٣٠٦ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٠٢ .

(٤) رواه أحمد والترمذي والدارمي وحسنه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح(٥٠٨٣) ، رياض الصالحين – باب التقوى .

(٥) سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .

الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (١) .

فلابد أن تكون في الأمة طبقة من الناس يكون شغلهم وهمهم الدعوة إلى الله ﷻ وإلى الخير وإلى إنقاذ الناس من المعاصي والمنهيات وبهذا الأمر تكون أمة واحدة .

قال تعالى ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ (٢) ، فكل أعمال الدين لتوحيد المسلمين ففي الصلاة وحدة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

ورغب النبي ﷺ في صلاة الجماعة فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " ﷺصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣).

وجعل المسجد لاجتماع المسلمين.. وفى الصيام وحدة.. وفى أداء الزكاة وحدة.. وفى الحج وحدة لجميع الأقوام والبلدان والجنسيات واللغات ، وكذلك الاجتماع لحلقات التعليم، وإكرام المسلمين وحسن الخلق كل هذا أسباب للوحدة وتبيض وجوه المؤمنين .

وعكس هذا: الحسد.. البغضاء.. الغيبة.. النميمة.. احتقار المسلم وإيذائه.. كل هذا يمزق الأمة، ويشتتها، وتسود وجه صاحبها، وتجره

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٠٥ .

(٣) صحيح البخارى – باب فضل صلاة الجماعة – ١ / ١١٩ .

إلى نار جهنم ، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ﴾ (١) ، وكل هذه الآيات نزلت عندما أراد اليهود أن يفرقوا بين الأنصار وينشبوا بينهم العداوة والبغضاء.. وتبين هذه الآيات أن التفريق بين المسلمين من أعمال: الكُفْرْ، وتحذر من عذاب الآخرة واليوم أعداء المسلمين يجتهدون لتفريق الأمة.

وللوقاية علينا أن نقوم بالدعوة إلى الله، وكل واحد يأتي بأخيه إلى المسجد وتكون في المساجد حلقات التعليم والذكر والتلاوة ومذاكرة اليقين والتشاور للدعوة وعلى جميع الطبقات أن يجتمعوا في المسجد للأعمال كما كان مسجد النبي ﷺ .وإذا اجتمع ثلاثة عليهم أن يراعوا أن رابعهم هو الله يسمع كلامهم ويرى مكانهم، فبماذا يتكلموا ؟

إذا جلسنا مع بعض فلا نتكلم إلا لصالح الأمة، ولا نتآمر على أحد.

فهذه الأمة كونها النبي ﷺ، وتحمل الجوع والفاقة والخوف والإيذاء والسب والطرد وإراقة الدماء، ونحن اليوم نقوم بتمزيقها لمصالحنا الدنيئة .

أيها الأحباب: عليكم ألا تنسوا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما حذر على ترك صلاة الجماعة، كما حذر على تفريق الأمة.

فاليوم لو يكون المسلمون أمة فلا يستطيع أحد في العالم، أن يذلهم بل كل واحد يخضع أمامهم.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٦ .

فإذا اتصفنا بصفة ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تأتى صفة ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١)، كل واحد يظن أنه صغير أمام أخيه فيتواضع أمامه، وعلينا أن نمتنع عن النجوى قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ (٢) حتى لا يظن المسلم بأخيه ظن السوء وعن السخرية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وعن إذاعة عيب المسلم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(٤) .

فإذا تمسكنا بهذه الأصول نجمع الأمة: والله سبحانه وتعالى حض الأمة على الإكرام والاحترام، وأن لا يطلب الإنسان من غيره أن يكرمه، بل يظن كل واحد أنه ليس أهلا للإكرام، بل الكل يستحق منى التكريم والاعتزاز.. فحينما يضع كل واحد منا نفسه ونفيسه تحت أمر الله فتتكون الأمة.. فالعزة والذلة بيد الله ﷻ .

فالعزة والذلة ليست في مخططات ومناهج روسيا وأمريكا، بل في يد

---

(١) سورة المائدة – الآية ٥٤ .
(٢) سورة المجادلة – الآية ١٠ .
(٣) سورة الحجرات – الآية ١١.
(٤) سورة الحجرات – الآية ١٢.

الله، ولها أصول وضوابط ، فمن يأت بعمل العزة والرفعة رفعه الله، ومن جاء بعمل يهدم هدمه الله، فإن اليهود هم أولياء الأنبياء لكنهم خالفوا تعاليمهم فأخزاهم الله، وكان أصحاب الرسول ﷺ أولاد عباد الأصنام لكنهم اختاروا أعمال الخير، فرفعهم الله وأعزهم، وإن الله لا ينظر إلى الأسباب، وإنما ينظر إلى الأعمال.

فالذي يختار تلك السنن الربانية فالله ﷻ ينزله المكانة العالية، والذي ينحرف عن تلك السنن فالله ﷻ يبيده.. فاليهود من سلالة الأنبياء فلما انحرفوا عن سنن الله فالله ﷻ غضب عليهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وجعل منهم القردة والخنازير .

والصحابة رضي الله عنهم من نسل عباد الأوثان، ولكنهم قاموا بسنن الله تعالى واحترموها.. فالله أعطاهم الكلمة السامية المسموعة .

فعلينا أن نقوم بهذه الدعوة المباركة، ونبذل من أجلها كل غال ونفيس، ونتحرك بها في العالم كله، ونواظب عليها وبذلك تتكون الأمة .. وتخرج الأمة من كيد النفس والشيطان.. " اللهم أعد للمسلمين مجدهم وعزهم " (١).

(١) آخر بيان للشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوى – رحمه الله – وكان من علماء الهند وأمير عمل الدعوة والتبليغ بعد وفاة أبيه الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله) .

القيام بالمجاهدة
وعدم الاعتماد على الأشياء

لقد أرسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكانت كل أمة مرتبطة بشيء من الأشياء وتظن أن الفلاح في الحصول على هذا الشيء، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أخبروهم أن الفلاح لا يتعلق بشيء من هذه، بل يتعلق فقط بالارتباط بالله ﷻ، والله ﷻ يعطيه الفلاح مع قلة الأشياء ، وإذا فسد العمل فالله ﷻ يدمر هذه الأشياء العظيمة في نظر أصحابها ويتحصلوا على الخسران مع وجودها معهم فللحصول على الفلاح لابد من إصلاح العمل .

وكان كل نبي من الأنبياء عليهم السلام يجتهد على أمته لإبطال تعلقها بهذا الشيء الذى كان ضائعاً عندهم، وجاء النبي ﷺ لإبطال الاعتماد على هذه الأشياء جميعها مثل الزراعة.. التجارة.. الصناعة.. الأكثرية.. الملك.. المال.. فجهده ﷺ لم يقم على هذه الأشياء، بل قام على التضحيات والمجاهدة.

والباطل ينتشر بالرفاهية والترف، والحق ينتشر بالتضحية والمشقة، والباطل ينتشر بالسلطة والمال، والحق ينتشر بالزهد والتضحية من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

وبواسطة هذا الجهد ينشأ عند الأمة الاستعداد للمجاهدة والتضحيات، وأكبر خطر على هذا العمل، أن نربطه بالأشياء، فبذلك تخرج الروح من هذا العمل، فلحفاظة هذا العمل نقيم الأحباب على المجاهدة والتضحية

بجميع الوسائل الميسرة، ولا ندع المجال لانتهاء المجاهدة ونتحمل المشقات، فنزيد من الجهد على الفقراء، ونخرج الجماعات مشياً على الأقدام، فالناس يأتون إلينا ويقولون هذه أموالنا فأنفقوها في أعمال الدين، فعندها التضحية بالأشياء، فنقول لهم: بأن هذا العمل هو يُعلم العاطفة والطريقة الصحيحة للإنفاق فتعلموا ذلك وابحثوا عن مواضع الإنفاق. أ. هـ .

دقة عمل الدعوة

إن هذا العمل دقيق جداً لأن الرسول ﷺ هو الذى قام بالجهد ، وبهذا الجهد تغيرت حياة الناس كلها من ناحيـــة الكســـب والطعـــام والـــزواج والمعاملات والمعاشرات والأخلاق والعبادات .. فقد تغيرت كلياً .

فنحن الآن لا نعرف كيف نقوم بهذا الجهد الذي تمتلئ فيه القلـــوب بالإيمان واليقين ومحبة الله ﷻ والتوجه إليه والخـــوف والخشـــية منـــه سبحانه وتمتلئ بفكر الآخرة والزهد والتقوى، والتزين بأخلاق الرســـول ﷺ وتصبح عاطفة إرضاء الله ﷻ قوية جداً، ويتسابق الناس بتضـــحية النفوس في سبيل الله ﷻ، فقد كان عمر ﷺ يقول: رحم الله خالداً لم يكن له أمنية إلا نصرة الحق وأهله، وإبادة الباطل وأهله(١).

فبركات هذا العمل، التي نراها الآن، هي البركات التي تظهـــر قبـــل البدء بالعمل ، كما ظهرت بركات الرسول ﷺ قبل ولادته، ولكـــن الجهـــد الحقيقي والبركات الحقيقية بدأت بعد سن الأربعين فالآن الجهد لتهيئة من

---

(١) سَمِعَ ثَعْلَبَةَ بْنَ أَبِي مَالِكٍ يَقُولُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بِقُبَاءَ، وَإِذَا حُجَّاجٌ مِنَ الشَّامِ، قَالَ: مَنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا: مِنَ الْيَمَنِ مِمَّنْ نَزَلَ حِمْصَ، وَيَوْمَ رَحَلْنَا مِنْهَا مَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. فَاسْتَرْجَعَ عُمَرُ مِرَارًا، وَنَكَّسَ، وَأَكْثَرَ التَّرَحُّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: كَانَ – وَاللَّهِ – سَدَّادًا لِنَحْرِ الْعَدُوِّ، مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: فَلِمَ عَزَلْتَهُ ؟ قَالَ: عَزَلْتُهُ لِبَذْلِهِ الْمَالَ لِأَهْلِ الشَّرَفِ وَذَوِي اللِّسَانِ، قَالَ: فَكُنْتَ عَزَلْتَهُ عَنِ الْمَالِ، وَتَتْرُكُهُ عَلَى الْجُنْدِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ لِيَرْضَى، قَالَ: فَهَلَّا بَلَوْتَهُ ؟.

وَرَوَى جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ خَالِدٌ لَمْ يَدَعْ إِلَّا فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ وَغُلَامَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ، كَانَ عَلَى مَا ظَنَنَّاهُ بِهِ (سير أعلام النبلاء _ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ابْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَقَظَةَ بْنِ كَعْبٍ).

يقومون لهذا العمل، والله ﷻ يستعمل لهذا العمل ، ويجعلهم سبباً لنشر الهداية، الذين تتبدل عواطفهم وحياتهم طبقا لدعوته، والذين لا تتبدل حياتهم الله ﷻ لا يستعملهم لدينه.. لأن هذا العمل هو عمل لأنبياء عليهم الصلاة والسلام [١] .

(١) من بيان لفضيلة الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوى (رحمه الله) .

أهمية عمل الدعوة

يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): إن هذا العمل عمل مهم للغاية، فإن نبينا محمد ﷺ جاهد في سبيله جهادا تغيرت به حياة الناس جميعا، في جميع شعبها (في الأكل والشرب والكسب والإنفاق والزواج والعبادة والمعاملة والسلوك).

وقدم لنا رسولنا ﷺ نماذج مختلفة لهذا العمل لنقتدي بها، وهدانا إلي طرق شتى لبذل الجهد.

لكننا نعترف بعجزنا وتقصيرنا، ونقول: إنا لم نبدأ العمل بعد في الحقيقة، وسيشهد العالم في لونه الأصيل حين ينهض له أناس يتدافعون ويتسابقون إلي بذل نفوسهم، ذلل الألسن بذكر الله ، عامري القلوب بالحسبة وطلب الأجر ويمتازون بالورع والزهد، ويتصفون بأخلاق النبي ﷺ، يخشون عذاب الله ويرجون رحمته، ويدعونه خوفا وطمعا ، يصلون النهار بالليل والشتاء بالصيف، ولا يهمهم إلا نشر الدين من أقصى الأرض إلي أقصاها، ومن شرقها إلي غربها.

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: يرحم الله خالد رضي الله عنه ليست له أمنية إلا أن يجيء الحق ويزهق الباطل (١).

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) صـ ٥٧١.

الترغيب

للجهد في شهر رمضان

يقول الشيخ يوسف (رحمه الله) (١): إن هذه الحركة التي أنشأها الشيخ إلياس(رحمه الله) كانت تهدف إلى غرض واحد لا غير وهو أن نوثق صلتنا بالإسلام، ونقضي حياتنا في ضوء الكتاب والسُنة، ونتجنب العادات والتقاليد المعارضة للدين والشريعة، ونحيي ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، من العقيدة والفكر والمنهج، ونبلغ تلك الرسالة التي جاء بها نبينا محمد ﷺ لإسعادنا إلى كل من يجهلها، أو يتغافل عنها من إخواننا المسلمين، ولا يتم ذلك إلا عن طريق الرحلات، والاختلاط بعامة الناس، وتبادل وجهات النظر معهم، وإقناعهم بالإسلام وتعليمهم الدين، فلا بد لنا أن نعوَّد على الخروج من بيوتنا، وهجر راحتنا لأداء هذه المسؤولية الملقاة على كواهلنا، لا نبتغي بذلك إلا وجه الله عز وجل ورضاه.

والذي يصعب عليه السفر لتجديد الدين، وإحياء السُنة، وربط الصلة بالخالق، ، بينما يسهل عليه السفر للمصالح الشخصية والأغراض المادية والبحث عن فرص العمل، لا يستطيع أن يقدر النعم التي يفيئها الله سبحانه وتعالى على من يقوم بالدعوة إلى الله، وقد يعز علينا الخروج من منازلنا، وهجر راحتنا، لأننا لا نعرف قيمة الخروج في سبيل الله،

(١) ضمن رسالة وجهها إلى بعض رفقائه، في ١٨ شعبان المعظم ١٣٦٣ هـ .

ونجهل نتائجها وأبعادها، ونعتبر هذه الحركة حركة لا تتوخى إلا تصحيح الكلمة والصلاة، وننسى أن هذه الحركة تقوم إلى جانب تصحيح الكلمة والصلاة بصقل كل ما نعمل به في حياتنا اليومية فيصبح ذلك العمل مقبولا عند الله، ويثاب عليه العامل.

وبالإضافة إلى تحقيق هذا الهدف، تُساعد هذه الرحلات على إقامة الصلة بين العبد وربه، وتزداد هذه القوة شيئا فشيئا، وتنشأ كيفية الاضطراب، ثم تتحول هذه الكيفية إلى الاستقامة والثبات، ولأن هذه الأعمال كلها روحية، فلذلك تتم في شهر رمضان المبارك بأحسن صورة، بصلة هذا الشهر بالعبادة والأعمال الروحية، ولأنه يهدف إلى تنوير الأعمال والارتقاء فيها، فإذا بدأنا هذا العمل الجليل في هذا الشهر المبارك، وبذلك الجهد في سبيله تغشانا الرحمة وتنزل علينا السكينة التي توقفت عنا بذنوبنا، وإذا انتشرت هذه الدعوة في هذا الشهر المبارك تضاعفت الاستقامة وتجلت الأنوار سبعين مرة بالنسبة للشهور الأخرى، وإذا تهيأ اثنا عشر ألف رجل للخروج في سبيل الدعوة إلى الله، وبث تعاليم الاسلام بجهود الذين يريدون أن يروا راية الإسلام خفاقة، وأحكام الشرع مطبقة، وكلمة الإسلام عالية، والنشاطات الدعوية متصعدة، فيستقر هذا العمل وترسخ قدمه، ويقف هذا الشهر في وجه الجائحات والتيارات المعارضة للدين والشريعة، ويسد مسالكها، ويحول عواصف الزندقة والعبث والمجون والاستهتار بالدين، إلى نسمات إيمانية عطرة،

ويتحول الإعراض عن الدين والاستخفاف به على الاندفاع إليه، والتهالك عليه، والترحيب به.

وعل كل فإن هذا الشهر يقتضي أن نعمل فيه أكثر مما نعمل في الشهور الأخرى، ويأتي هذا الشهر ليرفع كل عمل عن مستواه، فأكثروا من أعمال الخير في هذا الشهر المبارك، وإذا أردتم أن ترتقي نفوسكم فالزموا المساجد، واعتزلوا الناس، وإذا أردتم أن تحدثوا ثورة دينية في حياة العامة فاستعدوا للخروج في سبيل الله لنشر الدعوة في هذا الشهر المبارك، لتتحسن أحوال العامة ولتنشأ الاستقامة والنورانية في الأعمال، فالعمل ما قام به الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والأجر كما هو، لكن يحتاج إلى الاحتذاء بحذوهم، والسير على منوالهم، فنراهم يضحون لنشر الدعوة الإسلامية، بخلوة شهر رمضان المبارك، كانوا يفطرون إذا احتاجوا إلى الإفطار، لكنهم لا يتوقفون عن الرحلة، فيحتاج الإسلام إلى هذا المنهج في هذه الأيام، فشجعوا نفوسكم، واخرجوا في سبيل الدعوة(١).

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) صـ ١١٩.

عوامل النجاح في الدعوة

قام الأنبياء عليهم السلام، في عصورهم المختلفة لمواجهة خريطة من الخرائط، وصرحوا أن النجاح لا يتوقف علي هذه الخرائط والوسائل المادية.

إنما النجاح بيد الله تبارك وتعالى، ومنوط بذاته، فإذا صلحت الأعمال، وصحت النيات، كتب الله سبحانه وتعالى لنا الفلاح والفوز، رغم خرائطنا البسيطة .

وإذا فسدت الأعمال وانحرفت عن جادتها نعاني من الهزيمة والانهيار، ويقضى علينا بالزوال رغم ما نملكه من الخرائط والوسائل.

نري أن كل نبي من الأنبياء عليهم السلام، بذل جهدا كبيرا لمكافحة الخرائط المتداولة في عصره.

واجه رسولنا محمد ﷺ وسائل كثيرة من الدولة والأغلبية والسلطة والمال والزراعة والصناعة، فلم يحقق ما حققه من نجاح بهذه الخرائط والوسائل، وإنما نجح بالتضحيات التي قدمها، والجهود التي بذلها، والآلام التي تعرض لها لإعلاء كلمة الإسلام.

وفي الحقيقة أن الباطل يسود بخريطة الترف والبذخ، والحق ينشر ظلاله بتحمل الأذى وتحمل المكاره.

يلمع الباطل بالثروة والدولة، ويسطع نور الحق في الفقر والمشقة.

إن الفتن التي تثور وتشتعل علي أساس الثروة والرفاهية والحكومة

لا يخمد نارها إلا من تحمل الفقر والأذى في سبيل الله.

فعلينا أن نعد أنفسنا لهذا العمل وذلك ببذل النفوس والأرواح.

وأكبر خطر علي هذا العمل أن يوزع علي الخرائط ويحصر عليها، وإذا حدث ذلك فيفقد روحه وشكله.

فلصيانة هذا العمل وإبقائه علي صورته الأصيلة ينبغي لنا أن نرفض الخرائط المتوفرة لهذا العمل رفضا باتا، ونركز جهدنا علي الجهد والكفاح.

نوجه الدعوة إلي الفقراء، ونجلس إليهم ونتحدث معهم، ونخرج الجماعات الراجلة (الأقدام).

يأتي إلينا الناس بالنقود، فنقول لهم: إننا لا نجلس هنا لأخذ النقود وجمع الأموال، إنما نجلس هنا لنعلمكم الطرق الصحيحة للإنفاق، فتعلموا منا هذه الطرق، وأنفقوا نقودكم بأيديكم بطريقة تعود عليكم بربح عظيم.

وعلينا أن نحترز عن استخدام الطرق المألوفة من الإعلانات والملصقات والصحف والمجلات، ووسائل الإعلام الأخرى، لأن هذه الطرق تختلف تماما عن طرق هذا العمل، وهي الدعوة والجولة والتعليم والتشكيل(١).

ويقول في رسالة له: حذاري أن تستخدموا لتعميم هذا العمل ونشره في العالم الوسائل والطرق الرائجة كالصحف والإعلانات، والدعاية، والمصطلحات الشائعة، فإن هذا العمل عمل غير عرفي، وإن طرق هذا

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) صـ ٥٧٢

العمل وأشكالها هي الدعوة والجولة والتعليم واللقاءات الشخصية وتشكيل الجماعات.

وقال في ختام اجتماعه بالخواص في رحلته الأخيرة: لم تشكل لهذه الدعوة منظمة أو جمعية، وليس لها مكتب أو سجل ولا صندوق ولا ميزانية إنها عمل سائر المرسلين، ولم تؤلف جماعة خاصة لهذا العمل على الطرق الشائعة.

فكما يجتمع المسلمون من سائر الطبقات والمناطق والفئات والحرف في المسجد وينصرفون إلى بيوتهم وأشغالهم بعد انقضاء الصلاة، كذلك ندعوكم إلى أن تجتمعوا لوقت من الأوقات، وتتركوا بيوتكم، وتهجروا راحتكم، وتنفضوا من الأعمال أيديكم لهذا السعي المبارك والجهد الديني، وتعلموا الدين ثم عودوا إلي بيوتكم وأعمالكم، واقضوا حياتكم في ضوء تعاليم هذه الدعوة.

إن السلوك على طريق هذه الدعوة يتطلب وسائل داخلية، ولا يتطلب وسائل خارجية وهي اليقين، واستحضار الله والخوف منه، واليقين أن منبع ثروة الدين ومصدرها، وباب نزول البركة والرحمة من الله تعالى، هو العمل على منهاج النبوة. (١).

وقرر بعض الأحبة في بعض المناطق لتوسيع مجال العمل إنشاء دار للتبليغ، ونشروا إعلانا لجمع الأموال من أجل هذا الغرض، فلما وصل الخبر للشيخ يوسف غضب غضبا شديدا، وكتب للشيخ افتخار

(١) المرجع السابق صـ ٥٤٧.

فريدي رسالة ليمنعهم من هذا العمل، فكتب: إن هذا الإجراء يتنافى مع مبادئنا، فإذا كان جمع التبرعات لعمل الدعوة نفسها ممنوعا لدينا، فكيف يجوز ذلك بناء دار، يجب أن توجه الدعوة إليهم لبذل المال والنفس في عمل الدعوة، ويجب الاحتراز عن الأعمال الإضافية الأخرى، اكتب إليهم إذا كنتم تريدون بناء دار التبليغ فأعلنوا أن هذا الأمر يتعارض مع مبادئ الدعوة، وأرجوك أن لا تشترك في هذا العمل، وإلا فإنه سيحمل أضراراً جسيمة لعمل الدعوة والتبليغ في الأعوام القادمة، ويعرقل سبيلها (١).

(١) المرجع السابق صـ ٥٤٨.

بركة القيام على المقصد

قام أحد أثرياء دلهي بدعوة جمع من العلماء وعلية القوم لحفلة زفاف ولده، وكان هذا الثري معروف بحبه لأهل الدين مع أنه لم يكن صاحب تدين وكان متلبس بالربا وغيرها من الذنوب وكعادة أثرياء دلهي من المسلمين الغير متدينين حفلات زفافهم كانت متأثرة بالعادات الهندوسية بلغت دعوة الاحتفال للشيخ بمركزه نظام الدين؛ فجمع الشيخ مشايخ المركز وشاورهم فرفض الجميع تلبية الدعوة لأن مطعمه حرام ومرتكب للمعاصي والعادات الهندوسية؛ ولكن الشيخ إلياس رحمه الله أصر على الذهاب لعل الله أن يهديهم فذهب معه بعض المشايخ ومن بينهم ابنه المعارض الشديد للزيارة مولانا الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي فلما دخل الشيخ الى محل الفرح قام له والد العريس واستقبل الشيخ ورحب به أي ترحيب وكل الحاضرين فرحون بزيارة الشيخ فبعد أن جلسوا قام مولانا الشيخ إلياس رحمه الله وقال لصاحب الدعوة: يا صاحب الدعوة في هذا اليوم الكل فرح حتى عمالكم لأنك ستكرم الكل إكراما حسيا ومعنويا إلا اثنين !!، فتعجب صاحب الفرح فقال: من يا مولانا الشيخ حتى نرضيهم؟؟ فقال الشيخ: ١ــ رضوان ربنا عز وجل ٢ ــ وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فتأثر الحاضرون كلهم حتى إن العريس قام من كرسيه الذي كان مطرز بالتطاريز الهندوسية ودخل البيت ليغير ملابس الفرح الهندوسية

ويلبس اللبس الاسلامي ويغير الفرح من فرح على الطريقة الهندوسية إلى فرح على الطريقة الاسلامية، فعندما قاموا لأكل الوليمة قال صاحب الوليمة للشيخ يا مولانا أنا أعلم أنك لا تأكل المال الحرام لذلك اقترضت مالا حلالا وطبخت منه لك وللمشايخ المرافقين لك فشاركه الشيخ.

في هذه الأثناء تأثر الشيخ محمد يوسف ابن الشيخ ، فقال له والده: إن الله يتولى عبادة الصالحين إذا قاموا على مقصد حياتهم ألا وهو نيابة النبي عليه الصلاة والسلام في أمته.

احترام العلماء

كتب الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) في إحدى رسائله: إن العلم والذكر ساعدا هذا العمل، وكل نقص يحدث في هذين العنصرين، يؤدي إلى خلل في عمل الدعوة.

وكل عنصر من هذين العنصرين له أهمية وتأثير ودور في محله، ولا بد منه.

ونحنُ في تقوية هذين العنصرين وتعزيزهما وتنميتهما نحتاج إلى مراكز العلم ومراكز التربية النفسية، وإلى العلماء والصلحاء في كل وقت، لأنهم قدوة لنا وأسوة في هذين العنصرين، لأنهم يحملون علم النبوة، ويتحلون بجواهر النبوة، ويحملون هذا الكنز الثمين، ولا نستطيع أن نؤدي حق هذين العنصرين ونؤدي ما يعود إلينا من واجب، إلا إذا قمنا بواجبنا من التقدير والاحترام، والتبجيل والاكرام إزاءهم، ونخدمهم خدمة تليق بمكانتهم، ونعتبر سحبتهم والاستفادة من معارفهم وسيلة للصلاح، والعفاف والتقى، ولذلك نعتبر من أهم مبادئ التبليغ زيارة العلماء والمشايخ والتماس دعواتهم، واطلاعهم على نشاطات الدعوة والاستشارة منهم، والعمل برأيهم.

ويعلق الشيخ محمد الثاني على هذه الرسالة فيقول: هذه القطعة المقتبسة من رسالة الشيخ محمد يوسف تحل عقدة هامة، فقد نشأ في

جماعة الدعوة والتبليغ هذه الأيام رجال لا يهتمون بهذا الجانب المهم، ولا يعرفون قدر العلماء والصالحين ومكانتهم، ودورهم في عمل الدعوة، وهذا الموقف المهين منهم إزاء العلماء والمشايخ يحول دون رقيهم، ويشكل عقبة في سبيل تقدمهم في مجال عملهم.

مدار النجاح والفشل

ربط الله سبحانه وتعالى نجاح الإنسان وفوزه بالكيفيات النفسية له، فالنجاح والفوز هو عبارة عن ما تساور الإنسان من الحالات النفسية والكيفيات الباطنية.

إن العزة والزلة، والألم والراحة، والهدوء والاضطراب، والصحة والمرض، هي الأمور التي تتعلق بداخل الإنسان، وليس لها أي علاقة بالخرائط الخارجية.

إن الله سبحانه وتعالى يقدر على أن يجعل الغني القوي ذليلا ومهينا رغم ما يملكه من ثروة هائلة ونفوذ كبير، وسلطة وقوة، ويرفع مكانة البائس الفقير الذي يزدريه الناس ويحتقرونه لفقره وبؤسه وضعفه وعجزه.

فالثروة التي تحمل قيمة ووزناً عند الله سبحانه وتعالى هي ثروة الإيمان واليقين والبر والتقى.

فإذا صلحت الأعمال التي تصدر من داخل الإنسان، وصلح اليقين الذي يحمله في فؤاده، يفوز وينجح سواء كانت الأحوال تسعده أم لا.

الإيمان بالله

إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء، وملك كل شيء، وكل ما في الكون هو من خلقه وصنعه، وهو الذي خَلَقَ ولم يُخْلَقَ، وصَنَع ولم يُصنع، فالمصنوع لا يُخضع، إنما يَخْضَعَ لقدرة صانع ويتبع لها، والصانع القادر يتصرف فيما صنعه كما يشاء، ويستطيع تغيير صورته وهيئته وخصائصه وصفاته، وهو يقدر على تحويل العصا إلى حية تسعى، وعلى تحويل الحية إلى عصا يتوكأ عليها.

وهكذا يتصرف القادر المطلق في كل شيء سواء كان يتعلق بالدولة أو الثروة، بالكهرباء أو الدخان.

وهو الذي يقدر على هدم ما يبنى وإقامة ما ينقض، وهو الذي يُدبر الأمر، ويتولى التربية والإرادة، وهو الذي يستطيع أن يحي الإنسان في أرض قاحلة جرداء، ويميته في أرض مخصبة رغم توفر وسائل الحياة، وأسباب المعيشة والراحة.

نتيجة الإيمان واليقين

إن كلمة ((لا إله إلا الله)) تُطالب المسلم بتغيير الطريق والمناهج والعواطف والمشاعر، والخوالج والخواطر، وينال المسلم بتغيير اليقين فقط، جنة عرضها السماوات والأرض، ويسخر الله سبحانه وتعالى له سائر الأشياء التي ينصرف عنها يقينه وينقطع إلى ذات الله جلا وعلا، ولإرساء قواعد هذا اليقين في النفس ينبغي أن ندعو الناس إليه، ونخبرهم بقدرة الله تعالى وجبروته وكبريائه وربوبيته، ونقص عليهم قصص الأنبياء والصالحين، ونفكر في العزلة والخلوة، وندخل في القلب هذا اليقين الذي دعونا إليه المسلمين، ثم ندعو الله سبحانه وتعالى في تضرع وابتهال أن يرسخ هذا اليقين ويستقر في قلوبنا ونحظى بحقيقته.

الإيمان برسالة

النبي صلى الله عليه وسلم

جاء نبينا محمد ﷺ بطريق من الله سبحانه وتعالى يستطيع به الإنسان أن يربط صلته بالله سبحانه وتعالى ربطا وثيقا محكما، ويستفيد من قدرته مباشرة، فإذا اختار الإنسان هذا الطريق وسلكه يحقق له النجاح والفلاح في كل عمل يمارسه.

أهمية الصلاة

الله تعالى أعطانا الصلاة للاستفادة المباشرة من قدرته، ففي الصلاة أمرنا الله أن نستعمل هذا الجسد ونقيده من الرأس إلي الجسد بالطريقة التي تُرضي الله عز وجل، فالعينين والأذنين واليدين والقدمين واللسان مع التوجه والخوف من الله تعالى في القلب، ومع اليقين بأنني إذا استعملت جسمي تحت أمر الله تعالى في التسبيح والتكبير والركوع والسجود، ففي ذلك الاستفادة والنفع أكثر من أن أملك جميع الكائنات.

فمع هذا اليقين يُصلي العبد ويبسط يديه أمام الله عز وجل، فالله تعالى يقضي جميع حاجاته، وبمثل هذه الصلاة الله يغفر جميع الذنوب، وبمثل هذه الصلاة الله تعالى يبارك للعبد في رزقه، ويوفقه لطاعته.

فحتى نتعلم هذه الصلاة ندعو الناس ونرغبهم في الصلاة ذات الخشوع والخضوع، ونبين لهم فائدة الصلاة في الدنيا والآخرة، ونقرأ عن صفة صلاة النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ونتدرب لتحسين صلاتنا، فنهتم بالوضوء، ونستحضر عظمة الله في قلوبنا أثناء القيام والركوع والسجود والجلوس في كل عمل من هذه الأعمال، أقل القليل لأن الله تعالى يرانا، وبعد الصلاة نتفكر بأننا ما أدينا الصلاة كما يليق بشأن الله تعالى، فنستغفر ونبكي أمام الله تعالى حتى يرزقنا حقيقة الصلاة.

وقال رجل للشيخ يوسف:نحن ندعو الناس إلى الصلاة حتّى نحصلَ على اليقين بالصلاة فكيف نعرف أنّه صار عندنا هذا اليقين؟

فقال له الشيخ يوسف: إذا كنتَ ذاهباً إلى المسجد للصلاة وجاء الوزير إلى باب دكّانك وأرسلَ من يطلبك فذهبتَ معه فليس عندك يقين بهذه الصلاة، أمّا إذا أجبتَه قائلاً: الآن دخلَ وقتُ الصلاةِ قُل له يأتي للصّلاةِ لأنّ فلاحي وفلاحه في الصلاة، أُصلّي أوّلاً ثُمّ بعدها أقابله، هذا اليقين بالصلاة وأهمّيتها، فمجرّد العلم لا يكفي بل لابدّ أنْ نجتهِد لليقين والحقيقة.

العلم والذكر

أعني بالعلم إيقاظ الوعي وتعبئة الشعور، ومعرفة ما أراد الله سبحانه وتعالى في هذه الحالة.

وأريد بالذكر تركيز الجهد على العمل والخشوع.

إن الرحلة التي يقوم بها أحدنا لتعلم الدين وتلقي العلم تعتبر عبادة، " وإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ (١)، ويدعو له ما في السماوات والأرض: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ " (٢)، و" فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ(٣) ".

فيجب علينا أن نحث الآخرين على تحصيل العلم، ونذكر لهم فضائل العلم والمعرفة، ونشركهم في حلقات التعليم، وندعوهم إلى زيارة العلماء والاجتماع بهم، ونعتبر كل خطوة نخطوها في هذا الطريق عبادة نثاب عليها، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا حقيقة العلم.

إن الشخص الذي يذكر الله سبحانه وتعالى يذكره الله، وما دام العبد في الذكر كان في حفظ الله، فالذكر حصن منيع يحمي من فيه من الشيطان وكيده.

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر» بَابُ ذِكْرِ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي ذَلِكَ _ رقم الحديث: ١٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي رقم الحديث: (٢٦٢٤) ، وابن ماجة (٢٢٢) ،والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١/ ٣٠٨) وغيرهم.

إكرام المسلمين

علينا كذلك أن نكرم كل مسلم بكونه فردا من أمة سيدنا محمد ﷺ وأن نحتفي به ونؤدي حقوقه، ولا نقتضي منه حقوقنا، ومن ستر مسلما ستره الله، وما دام العبد في عون أخيه كان الله في عونه(١)، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن ترك حقه عوضه قصراً شامخا في الجنة(٢).

---

(١) إشارة إلى هذا الحديث الذي: في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ " .

(٢) إشارة إلى هذا الحديث: عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ قَالَ: " رَجُلَانِ جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: خُذْ لِي بِمَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي. قَالَ اللَّهُ: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ. قَالَ: يَا رَبِّ ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، فَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِي " فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ ذَاكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا ؟ لِأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا ؟ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا ؟ قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْتَلِكُ ثَمَنَ هَذَا ؟ قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ. قَالَ: بِمَ ؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ

فعلينا أن نُرغب الآخرين في إكرام المسلم ونحضهم على ذلك، ونذكر لهم أهمية المسلم ومكانته، ونحكي لهم ما قدم نبينا ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من نماذج رائعة لمكارم الأخلاق والإيثار والمواساة والتضحية والنصح.

الْقِيَامَةِ ". (البعث لابن أبي داود» رقم الحديث: ٣٢)، ومستدرك الحاكم _ رقم الحديث: (٨٨٣٦)، حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا(١١٨)، مساوئ الأخلاق للخرائطي(٦٠٦).

تصحيح النيـــة

يجب علينا أن لا نبتغي من أي عمل نقوم به إلا وجه الله، ولا نرجو به إلا كسب رضاه، ولا نُريد به المصالح المادية، أو التظاهر بالتدين أو إبراو الشخصية أو تحسين السمعة، فكل عمل يبتغي به وجه الله يجلب الأجر والثواب مهما كان ذلك العمل بسيطا، وكل عمل يخلو من الإخلاص والنية يحبط ويؤدي إلى العقاب وإن كان جليلا.

فلنصحح نياتنا، وندعو الناس إلى تصحيح النية، ولا يمكن ذلك إلا بالجولات واللقاءات وإيقاظ الوعي والشعور والتدريب على تصحيح النية بحيثُ أن نقول: إننا نمارس هذا العمل ابتغاء وجه الله تعالى، ثم نستغفره بعد انتهاء العمل باعتبار هذه النية ناقصة.

بذل الجهد في سبيل الله

قد شاع اليوم في هذه الأمة أن رجالها يشتغلون بالأعمال فرادى ووحداناً، ومن أجل ذلك نرى أن هذه الأعمال تفقد روحها وحقيقتها وتأثيرها على النفوس، بينما تقع مسؤولية الدعوة إلى الله على كاهل هذه الأمة قاطبة بعد وفاة نبينا ﷺ، فتتطلب هذه المسؤولية من الأمة المحمدية أن تبذل جهودا جبارة لنشر هذه الدعوة ، وبث تعاليم الإسلام بطريقة تتطابق تماما مع الطريقة التي سلكها النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته، وهذه الطريقة هي: بذل النفس ، ونحترز عن طلب الأجر كل الاحتراز، والابتعاد عن الطمع كل الابتعاد، فمن سعى لربط صلة العبد بخالقه وفقه الله للأعمال الصالحة وتقبل سعيه، وجعله من عباده الصالحين المقربين، فالخروج في سبيل الله ليوم وليلة أفضل من الدنيا وما فيها، وكل درهم ينفقه الداعي إلى الله، وكل صلاة يؤديها، وكل تسبيح وتحميد يلفظه بلسانه، وكل كلمة يرددها لسانه يضاعف أجرها عند الله أضعافا مضاعفة حتي يبلغ ذلك الأجر سبع مائة ألف مرة، ويقبل الله دعوات العاملين في سبيل الله كما يتقبل دعوات أنبياء بني إسرائيل، ويكتب لهم الفلاح والسعادة والفوز والعلو بقدرته خلافا للظاهر والعادة.

إننا نرى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد خرجوا في سبيل الله، ولم يعوقهم عن الخروج لعمل الدعوة أي عائق ، مثل: الزواج، والميلاد، والوفاة، والحر والبرد، والفقر والغنى، والجوع والعطش،

والصحة والمرض، والقوة والضعف، والشباب والشيخوخة، فقاموا بجولات دعوية في كل حال من الأحوال، وفي كل مناسبة من المناسبات.

ولربط كل شخص بهذه الأمور نطلب منه أن يفرغ أربعة أشهر، وينفق هذه الشهور بعيدا عن أشغاله وأهله في سبيل الدعوة، ويتجول في المدن والأرياف والسهول والجبال، ويطرق الأبواب، ويجري اللقاءات ويعقد الاجتماعات، ويتحدث مع الناس ويدعوهم إلى الله.

أعمال المسجد

ربط رسول الله ﷺ كل شخص من أمته بالمسجد، ومنحه أعمالا خاصة بهذا المكان الطاهر، وكان المسلمون يمتازون عن غيرهم بهذه الأعمال، ولا يجلس في المسجد رجال إلا وهم يذكرون الله، ولا يجري فيه حديث إلا ما يتعلق بكبرياء الله وجلالة شأنه، ويتعلق بالإيمان واليوم الآخر، وتأثير الأعمال على الحياة الإنسانية.

وتشكل فيه الجماعات التي تتوجه إلى مناطق مختلفة للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وتعقد فيه حلقات التعليم، وتنظم فيه مجالس الذكر.

وكات يتعلم فيه كل من الحاكم والمحكوم، والثري والفقير، والتاجر والفلاح، والأجير والمحترف أمور الدين ويعرف به الحلال والحرام، وينعكس أثر ذلك في تصرفاته خارج المسجد.

ولكننا نرى اليوم أن هذه المساجد قد خلت من الأعمال، وامتلأت بالبضائع والأمتعة، ولم يخضع رسول الله ﷺ المساجد لرجال التجارة، وكان لا يوجد في مسجد سيدنا محمد ﷺ بـــالمدينة المنورة ماء ولا كهرباء ولا دورة مياه، ولم يكن له ميزانية تنفق عليه، فمن كان يدخل المسجد النبوي يُصبح معلما ومتعلما، ذاكراً ومصلياً، عابداً وزاهداً، ويقضي حياة آمنة مرضية تلائم الشريعة وتطابق السُنة.

وكان المسجد يراقب أمور رجال الأعمال والتجارة ويُصلح أعمالهم، ويصحح مسارهم.

فيجب عليكم أن تسوقوا الناس إلى المسجد خلال هذه الشهور الأربعة، وتعلموهم أعمالها، وتدعوهم إلى تخصيص سنة كاملة ليتعلموا هذه الأعمال ويُعلموا غيرهم، يأخذوا من مسجد ويدفعوا إلى مسجد آخر.

الحكمة

جاء بعض المجتهدين إلى الشيخ محمد يوسف رحمه الله وأعلى منزلته، فقالوا عثرنا على كتب فيها انتقاد لأهل الدعوة والتبليغ فجمع أهل المشورة، وأخذ آراءهم فكان بعضهم يصر على الرد وبيان حقيقة الجهد وأدلته من القرآن والسنة وحياة الصحابة الكرام فقال الشيخ (رحمه الله): إذا كتبنا الردود عليهم، سيكتبون الرد علينا ، وسنكتب الرد على ردهم، وسيكتبون الرد على ردنا، وندخل في متاهات الردود والجدال، ولكن الرد الأمثل والأفضل هو أن نجتهد في الطريق الذي رأينا ثمراته ونتائجه دون أي جدال، فإذا كنا مؤمنين فإن الله سيدافع عنا لأن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١).

(١) سورة الحج – الآية ٣٨.

رسالة للشيخ يوسف(رحمه الله)

يبين فيها حال العالم اليوم

أيها الأخوة الأعزاء! إن حال العالم اليوم منكب على منهج منحرف للحياة ومنغمس فيما لا يرضى الله به، فقد أصبح كسب المال ، والوسائل المادية، والحصول على القوة هدف الجميع وغاية الحياة، وأصبح إفساد القيم الإنسانية، وإهانة أعمال الخير، والاستهتار بالدين والشريعة والإغراق في المجون والزندقة شعاراً للحياة، وخلت القلوب من الفكر والهمّ لإصلاح الإنسان، ومعرفة قيمته ودوره، ومعرفة مسؤوليات المسلم وحدوده التي ينحصر فيها النجاح في الآخرة، وأصبح الناس في شُغل شاغل عن هذه الأمور، وبدأوا يعدون الوصول إلى النجاح والسعادة بالأعمال الصالحة واليقين أمراً مستحيلا.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى بفضله ومنِّه وكرمه، إخواننا لهذا الاجتهاد العالي للدعوة، فإذا وفى حقه وعرف قدره، تحولت القلوب من الباطل إلى الحق واليقين، وتغير الفكر الضار بالفكر الصحيح، وأظهر الله نجاح الأعمال الصالحة وثمارها، إن المتصرف والفاعل هو الله، وإنما نُطالب القيام بهذا العمل كوسيلة كسب، فإن كان الجهد صحيحا، فإن الله سيحول ببركة الدعاء، الطرق الفاسدة وما يشيع في المجتمع من عادات وتقاليد منحرفة، إلى طرق الخير والصلاح، ويصحح المسار.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الطريق الصحيح للجهد والسعي، ويحل اليقين الراسخ للكلمة في قلوبنا، ويمتعنا بثروة الإخلاص، ويكشف لنا حقائق الصلاة ويرزقنا الخشوع والخضوع فيها، ويمنحنا نور العلم والذكر، وينعم علينا بأخلاق الأنبياء ويوفقنا للمجاهدة التي تكسب الهداية، ويعفو عن جميع زلاتنا، وخطايانا، وتقصيرنا في العمل بلطفه وكرمه ومنّه، ويفتح أبواب الرشد والهداية، لأهل العالم كله، ويجب على على جميع الإخوة العاملين في الجماعة أن يوصلوا جهودهم وتصحيح نياتهم في عملهم ومنهجهم بالندم على خطاياهم تائبين إلى الله، وتستمر هذه الجهود هنا نسأل الله القبول.

خطبة نكاح

للشيخ محمد يوسف رحمه الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }(١).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }(٢).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }(٣)(٤).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء _ الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب _ الآيتان ٧١ ، ٧٢.

(٤) زاد المعاد _ فصل في هديه – صلى الله عليه وسلم – في أذكار النكاح ٢/٤٥٤.

أَمَّا بَعْدُ، هذه سُنة لكنها تؤدى بطريقة لا تتلاءم مع السنة النبوية، إننا نُنفق بهذه المناسبة طاقاتنا وثروتنا وأنفسنا في الخرافات والتقاليد التي لا صلة لها بالسُنة، لقد كان الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من البشر، وكانت لهم متطلبات الحياة مثلنا، لكنهم كانوا ينفقون أموالهم وأنفسهم في سبيل الله أكثر مما كانوا ينفقونها في قضاء متطلبات الحياة.

إن هناك أعمالا تزدهر بها الأمة، وأعمالا تنحط بها الأمة وتتردى، فمن كان همه الحياة الدنيا ومتطلباتها، وأهدافها، وكان همه كسب المال، وإنفاقه في إرضاء نفسه كان مصيره الفناء، سواء كان ذلك في حياة الأفراد أم كان في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات.

لقد كان رسول الله ﷺ يتزوج، وأصحابه كانوا يتزوجون وهم أصحاب سلطة وولاية، لكن كان زواجهم يتم بنفقات يسيرة زهيدة، لقد تزوج الرسول ﷺ إحدى عشرة مرة، فلم يهتم بالوليمة اهتماما كبيرا، ففي وليمة أم سلمة: عنْ صفية بنت شيبة قالت: " أولم النبيُّ على بعض نسائه(١) بِمُدَّينِ(٢) من شعيرٍ"(٣).

وروى البخاري أيضاً من حديث أنسٍ أن رسول الله أعتق صفيةَ وتزوَّجَها وجعلَ عِتْقهَا صدَاقَها وأولَمَ عليها بحَيْسٍ(٤).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري/٢٣٩): وأقربُ ما يفسَّر به أمُّ سلمة.

(٢) المُدُّ هو: مكيال وهو رطل وثُلث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العِراق (مختار الصحاح ١٠٤) قيل سُمِّي بذلك : لأنه يسع ملء كفَّي الإنسان .

(٣) صحيح البخاري _ رقم الحديث (٥١٧٢).

(٤) صحيح البخاري _ رقم الحديث (٥١٦٩).

قال ابن جرير في (تفسيره ٣٧/٢٢) : حدثني أبو معاوية بشر بن دِحْية قال ثَنَا سفيانُ عن الزُّهريِّ عن أنس بن مالك قال : سألني أبيُّ بنُ كعبٍ عن الحجابِ فقلتُ : أنا أعلمُ الناسِ بهِ . نزلتْ في شأن زينبَ : أوْلَمَ النَّبيُّ عليها بتَمْرٍ وسويقٍ(١) فَنزلتْ (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلا أن يؤذنَ لكم ..) إلى قوله (ذَلِكُم أطهر لقلوبكم وقلوبهنَّ) وفي صحيح البخاري من حديث أنسٍ أنس : قال "ما أولم النبيُّ على شيء من نسائه ما أولَمَ على زينبَ ، أولَمَ بشاةٍ"(٢) . وروى ابن أبي شيبة عن أنس بن مالك قال : "أولم النبيُّ بزينبَ فأشبعَ المسلمين خبزاً"(٣) (٤).

وأنفق في زواج ابنته فاطمة نفقة يسيرة للغاية: فَعَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، قَالَ : " جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – فَاطِمَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ(٥) .

---

(١) السويق هو : القمح أو الشعير المقلو ثم يطحن (هدي الساري ٢٠٦) .

(٢) صحيح البخاري ـ رقم الحديث (٥١٦٨).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٥٦١/٣.

(٤) وعُلم مما سبق أن النبي كانت وليمته وسطاً، لا فيها إسراف ولا تبذير ولا فيها بُخلٌ ولا تقصير . وفُهِمَ من حديث أنسٍ أن أكبر وليمة أعدَّها رسول الله هي ما أولم على زينب بنت جحش وهي: شاة .

(٥)المستدرك على الصحيحين» كتاب النكاح» جِهَازُ فَاطِمَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – ٢٨٠٩.

وكان سلمان حاكما: وتَزَوَّجَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي قُرَّةَ الْكِنْدِيِّ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَ : يَا هَذِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْصَانِي إِنْ قَضَى اللَّهُ لَكَ أَنْ تَزَوَّجَ فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا تَجْتَمِعَانِ عَلَيْهِ طَاعَةً، فَقَالَتْ: إِنَّكَ جَلَسْتَ مَجْلِسَ الْمَرْءِ يُطَاعُ أَمْرُهُ ، فَقَالَ لَهَا : قَوْمِي نُصَلِّي وَنَدْعُو فَفَعَلَا، فَرَأَى بَيْتًا مُسَتَّرًا، فَقَالَ مَا بَالُ بَيْتِكُمْ مَحْمُومٌ، أَوَتَحَوَّلَتِ الْكَعْبَةُ فِي كِنْدَةَ ؟فَقَالُوا: لَيْسَ مَحْمُومًا، وَلَمْ تَتَحَوَّلِ الْكَعْبَةُ فِي كِنْدَةَ، فَقَالَ: لَا أَدْخُلُهُ حَتَّى يُهْتَكَ كُلُّ سِتْرٍ إِلَّا سِتْرًا عَلَى الْبَابِ (١).

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، عَنْ سلمان ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ فَبَنَى بِهَا فِي بَيْتِهَا ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْبِنَاءِ مَشَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَى بَيْتَ امْرَأَتِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَيْتَ، قَالَ: ارْجِعُوا آجَرَكُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ عَلَيْهَا كَمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ، وَالْبَيْتُ مُنَجَّدٌ، قَالَ: أَمَحْمُومٌ بَيْتُكُمْ، أَمْ تَحَوَّلَتِ الْكَعْبَةُ فِي كِنْدَةَ ؟ قَالُوا: مَا بَيْتُنَا بِمَحْمُومٍ، وَلَا تَحَوَّلَتِ الْكَعْبَةُ فِي كِنْدَةَ . فَلَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى نُزِعَ كُلُّ سِتْرٍ فِي الْبَيْتِ غَيْرَ سِتْرِ الْبَابِ. فَلَمَّا دَخَلَ رَأَى مَتَاعًا كَثِيرًا، فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الْمَتَاعُ ؟ قَالُوا: مَتَاعُكَ وَمَتَاعُ امْرَأَتِكَ، قَالَ: مَا بِهَذَا أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْصَانِي خَلِيلِي أَنْ لَا يَكُونَ مَتَاعِي مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كَزَادِ الرَّاكِبِ، وَرَأَى خَدَمًا فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الْخَدَمُ ؟ فَقَالُوا: خَدَمُكَ وَخَدَمُ امْرَأَتِكَ،

(١) السنن الكبرى » كتاب الصداق» جماع أبواب الوليمة» باب ما جاء في تستير المنازل.

فَقَالَ: مَا بِهَذَا أَوْصَانِي خَلِيلِي، أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أُمْسِكَ إِلَّا مَا أُنْكِحُ، أَوْ أَنْكِحُ، فَإِنْ فَعَلْتُ فَبَغَيْنَ كَانَ عَلَيَّ مِثْلُ أَوْزَارِهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِنَّ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ لِلنِّسْوَةِ الَّتِي عِنْدَ امْرَأَتِهِ: هَلْ أَنْتُنَّ مُخْرَجَاتٌ عَنِّي؟ مُخَلِّيَاتٌ بَيْنِي وَبَيْنَ امْرَأَتِي ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، فَخَرَجْنَ فَذَهَبَ إِلَى الْبَابِ حَتَّى أَجَافَهُ، وَأَرْخَى السِّتْرَ. ثُمَّ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ عِنْدَ امْرَأَتِهِ فَمَسَحَ بِنَاصِيَتِهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ لَهَا: هَلْ أَنْتِ مُطِيعَتِي فِي شَيْءٍ آمُرُكِ بِهِ ؟ قَالَتْ: جَلَسْتَ مَجْلِسَ مَنْ يُطَاعُ ، قَالَ: فَإِنَّ خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي إِذَا اجْتَمَعْتُ إِلَى أَهْلِي أَنْ أَجْتَمِعَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَامَ وَقَامَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيَا مَا بَدَا لَهُمَا، ثُمَّ خَرَجَا فَقَضَى مِنْهَا مَا يَقْضِي الرَّجُلُ مِنَ امْرَأَتِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَعَادُوا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَعَادُوا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ. ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى السُّتُورَ وَالْخُدُورَ وَالْأَبْوَابَ لِتُوَارِيَ مَا فِيهَ، حَسْبُ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا ظَهَرَ لَهُ، فَأَمَّا مَا غَابَ عَنْهُ فَلَا يَسْأَلَنَّ عَنْ ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْمُتَحَدِّثُ عَنْ ذَلِكَ كَالْحِمَارَيْنِ يَتَسَافَدَانِ فِي الطَّرِيقِ (١).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » المهاجرون من الصحابة » سلمان الفارسي »زواجه في كندة وآداب في الزواج.

وَدَعَا ابْنُ عُمَرَ أَبَا أَيُّوبَ فَرَأَى فِي الْبَيْتِ سِتْرًا عَلَى الْجِدَارِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ غَلَبَنَا عَلَيْهِ النِّسَاءُ فَقَالَ مَنْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ فَلَمْ أَكُنْ أَخْشَى عَلَيْكَ وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُ لَكُمْ طَعَامًا فَرَجَعَ.

وَصَلَهُ أَحْمَدُ فِي " كِتَابِ الْوَرَعِ " وَمُسَدَّدٌ فِي مُسْنَدِهِ وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ " أَعْرَسْتُ فِي عَهْدِ أَبِي ، فَآذَنَ أَبِي النَّاسَ ، فَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ فِيمَنْ آذَنَّا وَقَدْ سَتَرُوا بَيْتِي بِبِجَادٍ أَخْضَرَ، فَأَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَسْتُرُونَ الْجُدُرَ ؟ فَقَالَ أَبِي وَاسْتَحْيَا: غَلَبَنَا عَلَيْهِ النِّسَاءُ يَا أَبَا أَيُّوبَ ، فَقَالَ: مَنْ خَشِيتُ أَنْ تَغْلِبَهُ النِّسَاءُ " فَذَكَرَهُ.

وَوَقَعَ لَنَا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَشَجِّ عَنْ سَالِمٍ بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ " فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، حَتَّى أَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ " وَفِيهِ " فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَرْجِعَنَّ، فَقَالَ: وَأَنَا أَعْزِمُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَدْخُلَ يَوْمِي هَذَا، ثُمَّ انْصَرَفَ " وَقَدْ وَقَعَ نَحْوُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ فِيمَا بَعْدَ فَأَنْكَرَهُ وَأَزَالَ مَا أَنْكَرَ وَلَمْ يَرْجِعْ كَمَا صَنَعَ أَبُو أَيُّوبَ ، فَرُوِّينَا فِي " كِتَابِ الزُّهْدِ لِأَحْمَدَ " مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ " دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ بَيْتَ رَجُلٍ دَعَاهُ إِلَى عُرْسٍ فَإِذَا بَيْتُهُ قَدْ سُتِرَ بِالْكُرُورِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: يَا فُلَانُ مَتَى تَحَوَّلَتِ

الْكَعْبَةُ فِي بَيْتِكَ ؟ ثُمَّ قَالَ لِنَفَرٍ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِيَهْتِكْ كُلُّ رَجُلٍ مَا يَلِيهِ "(١) .

كان هؤلاء الأتقياء يؤثرون على أنفسهم، وينفقون على الفقراء والمساكين ويقدمون كل ما يملكونه للإنفاق في سبيل الله، فإذا نريد أن تحصل لنا البركة في زواجنا، وفي أولادنا، فعلينا أن نقتدي بأسوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

أهداف الحج

إن الهدف الحقيقي للحج إن يتم إكمال الحياة الإسلامية بمحاكاة سيرة النبي ﷺ، وشمائله الفردية والاجتماعية، الذاتية والخارجية خلال التنقلات لأداء الشعائر، بالهيام والوله، في مكة المكرمة.

فإذا قامت جماعة تكونت من عشرة أو عشرين شخصا في قيادة أمير، تؤدي الحقوق الاجتماعية، وتعلم مبادئ الدين، وتتضرع إلى الله للتوفيق للاقتداء بأسوة الرسول ﷺ، وتبدي الأسف والقلق على ما ضاع من فرائض وواجبات خلال هذه الرحلة المباركة، أصبح هذا السفر مثمراً ونافعا للغاية، ويجب أن يحمل أن يخصصوا بعض أوقاتهم بجانب تأدية الواجبات والفرائض، من الذكر والتلاوة والطواف والنوافل من الصلاة في مكة المكرمة والمدينة المنورة للخروج بدين الله، داعين الله على طريق الرسول ﷺ وأصحابه، ونشره في المكان الذي يتوقع أن ينتشر فيه هذا الدين في العالم كله، وإذا يتحقق ذلك، فإن له أجراً لا يمكن أن يتصوره، وهذه فرصة ذهبية لحصول نعم الله تعالى ورحمته(١).

(١) رسالة للشيخ محمد يوسف يوضح فيها أهداف الحج.

هدايات وإرشادات
للدعوة في موسم الحج

عليكم أن تتفقدوا أحوال الحجاج بجهد وهمة، وحاولوا أن يتعودوا على الاهتمام بالصلاة، والجلوس في المساجد في المجالس، وينشأ فيه الذوق والنزوع إلى كسب العلم، ويرغبوا في الجلوس في مجالس العلم، ويطالعوا الكتب التربوية، ومواد القراءة الدينية، ويتمرنوا على الدعوة، ويخرجوا في سبيل الله، ويجتهدوا في سبيل الدين، ويتعودوا على خدمة الخلق، ويتحلوا بالتواضع، وإكرام المسلم، ويشغلوا أوقاتهم بالذكر والتلاوة والدعوة، ويتجنبوا المعاصي والمنكرات في محل إقامتهم وفي جولاتهم، فعليكم أن تهتموا بهذه الأمور في مواضعكم، وأن ترسلوا الجماعات إلى أماكن أُخرى، واسعوا في نشر الدعوة في الموانئ وجميع مواضع الحج، وأرسلوا الجماعات للعمل في بيئاتهم لتعم في الحجاج بالمساعي العامة بركات الحرمين الشريفين، وتنتشر فيوض الأراضي التي وطأتها أقدام الأنبياء الكرام، وشرفها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام بالإقامة فيها، وأن تترعرع أعمال المساجد وتنتشر وتزدهر، ويتجدد عهد السيادة الخلقية والإيمانية والروحانية والنورانية للأمة المسلمة، وتنجو الأمة من مزالق الأسواق وخداعها، وتتقرب إلى الله وتستحق من الأجر والثواب والتوبة عند الله ما لا يتصور(١).

---

(١) رسالة للشيخ محمد يوسف يؤكد فيها العمل في أوساط الحجاج ودعوتهم .

وفي رسالة أخرى كتب: أرسلوا إلى الحجاج جماعات تدعوهم للارتماء في حضن الحرمين الشريفين عاملين في سبيل الدعوة طول طريق الحج.

ينبغي أن تنشئوا في الحجاج الذين يسافرون على الأقدام بعد تفقد أحوالهم عاطفة الخروج في الدعوة إلى الله، وبقدر ما تنشأ هذه العاطفة فيهم فهم يؤثرون في تغيير مجرى الحجاج الذين وفدوا من أنحاء العالم من المادية إلى الروحانية، وكذلك هؤلاء الحجاج يؤثرون في إيجاد الرغبة إلى الحياة الإيمانية على سكان المناطق التي يمرون بها.

ويقول في رسالة أيضا: يهمني هذه الأيام كثيرا، ويشغل بالي، أن هؤلاء الألوف من الحجاج الذين يتجردون عن حياتهم الأساسية والبدائية، إذا عادوا من سفرهم ولم تُشحن بطرياتهم، ولم تُفعم قلوبهم بحرارة الإيمان، والعاطفة الدينية، فإن سفرهم سينتهي ولا شك في ذلك، ولكن تفوتهم هذه الفرصة الذهبية، ليطوفوا بالبيت ويتجولوا في الحرم بالهيام والغرام، وذلك لتقصيرنا وقلة بضاعتنا وفتور همتنا في إيصال الدعوة إليهم، ولذلك يجب أن يأتي أحدكم ممن أتيحت له فرصة الوصول إلى تلك الأماكن للعمل بين الحجاج، وأن القلوب بين يدي الله، ولا يعلم أحد ماهي الساعة التي يقبل الله فيها هذا المجهود المتواضع، فيقدر انفتاح مجال من مجالات حياة الرسول ﷺ المباركة بفضله ومنّه.

جملة من أقوال

الشيخ يوسف رحمه الله

- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): نحنُ أعيننا تنظر خطأ، نري أننا نتربى بالأسباب وحقيقة التربية من الله تعالي، وأن الدواء فيه الشفاء، وحقيقة الشفاء من الله تعالي...الخ.
- **وقال أيضا**: قلب الإنسان أعمي وأصم وأبكم، يدخل فيه إما الشرك وإما التوحيد، فإذا اجتهد الإنسان ليصلح سمعه وبصره ولسانه وفكره، فتستعمل هذه الأعضاء صحيحا، فيدخل في قلبه التوحيد، وإذا استعمل الإنسان هذه الأعضاء خطأ يدخل في قلبه الشرك والعياذ بالله.

فالإنسان عندما يشرب الماء فهو يظن أن الراوي الذي حمل له الماء، أو الماء نفسه، بل الله عز وجل هو الذي رواه، فمثلا: رجل يضرب الكلب بالعصا فالكلب يهجم علي الرجل، ولا يهجم علي العصا، لأنه يعلم أن محرك العصا هو صاحب العصا.

ولو أن رجلا حمل العصا وأسقط بها التفاح من الشجرة، ثم أعطاك تفاحة، فأنت لا تشكر العصا، بل تشكر الذي حمل العصا.

فيجب علي الإنسان عندما يقطع نظره عن الأشياء، يعلم أن المربي الحقيقي هو الله تعالي.

- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي يطلب الهداية يوميا بصدق الله

يرسل عليه الحال الذي أتى على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .. لأنك طلب يومياً حتى يكون معهم.

- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): لما تتجولون جولة (عمومية ـ خصوصية) بالإيمان واليقين على قدرة الله ﷻ واستحضار عظمة الله ﷻ وابتغاء مرضاة الله ﷻ وبطريقة رسول الله ﷺ، فبهذه الجولات الله سبحانه وتعالى يرزقه النور فهذا النور يصل إلى كل مكان، فإذا يدخل بيوت الناس ، فالناس كلهم بسبب تأثير هذا النور يروا أن حياتهم في الخسران ، فيتفكرون كيف نخرج من الخسران .
- **يقول الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله) في قوله تعالى :{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(١)،معناه: اعلم من قدرة الله ما لا تعلمون أنتم، أنتم تعلمون الظاهر، وأنا أعلم قدرة الله الغيبية .
- **يقول الشيخ يوسف** (رحمه الله): مع كل صفة من صفات الله ﷻ ثلاث صفات مرتبطة بهذه الصفة:

الصفة الأولي: أنه أكبر فمثلا في صفة الخلق فهو أكبر وفي صفة معز فهو أكبر وفي صفة أنه حفيظ فهو أكبر وغيرها من الصفات.

الصفة الثانية: أنه قادر صفة القدرة مع كل صفة من الصفات في صفة الخلق فهو القادر وفي صفة الحفظ فهو القادر وهكذا في كل الصفات.

---

١) سورة يوسف _ الآية ٨٦.

الصفة الثالثة: أنه صمد أي لا يحتاج لأحد من خلقة، وكان الشيخ محمد يوسف رحمه الله يقول: أن الله ﷻ ما ذكر شيء من عظم المخلوقات في القرآن الكريم إلا أن المقصود بذكره ذكر عظمة الله وكبريائه تعالي، وذكر الجنة والنار ليس لبيان عظمهما بل لبيان عظمة قدرة الله ﷻ .

- جيء بشاب يعمل بمعاصي الله ﷻ إلى مجلس الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) وهو يتكلم عن عظمة الله ﷻ ، فقال الشاب رأيت فى كلام هذا الشيخ النور ، فكيف بمن يخرج معه أربعين يوما ، فالذي يتحصل النور جلساؤه يتأثرون منه .
- **يقول الشيخ يوسف** (رحمه الله): أصحاب اليقين الفاسد لا يستطيعوا أن يقوموا أمامنا، لأن اليقين الفاسد ليس له أرجل ، فثعبان موسى التقط الحيات كلها ، وكانت تريد أن تلتقط قصر فرعون عليه اللعنة ، فانظر إلى دليل النبوة (معجزة سيدنا موسى عليه السلام) فكيف بشأن موسى عليه السلام وبشأن النبوة..... فإشارة الرسول ﷺ في الصلاة كانت أعظم من إشارة الرسول ﷺ إلى القمر لأن إشارة الرسول ﷺ إلى القمر دليل النبوة (أى معجزة النبوة) وإشارة النبي ﷺ في الصلاة تشريع والأوامر أفضل من دليل النبوة .. لأن دليل النبوة (المعجزة) جاءت لخدمة المقصد النبوة وما جاءت به من أوامر وتشريعات .
- قال الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): من لم يدع إلي دينه، يشك في دينه ويستخف بدينه .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): كل الأمة دعاة إلى الله تعالى بشهادة هذه

الآية، وقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ مّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

فنحن ما خرجنا بأنفسنا ولكن الله أخرجنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا لجميع الأمة (البشرية) ليس للفقير فقط أو للغني أو للأبيض دون الأسود، هو لكل الأمة إلى يوم القيامة.

ولكن البعض الآن جلس وقال أن الدعوة فرض كفاية، وبعضهم يقول نحن مثل البئر فالعطشان يأتي للماء ليشرب أي أن الذي عنده طلب الدين يأتي للعلماء.

ولكن الداعي مثل المطر يمطر على الذين يريدون الماء والذين لا يريدون، على العرب والعجم وعلى الطالبين وغير الطالبين.

فلذلك الذين يأتون إلى المدرسة هم طلاب العلم لأنهم عندهم الطلب والرغبة الشوق للعلم.

- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ مّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢)، هذه الآية لجميع الأمة، ونخرج في سبيل الله بالترتيب، ثم نرجع إلى بيوتنا

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

وشغلنا وأهلينا ولا نكون مثل الدراويش ولا يرجع من الخروج ويتخذ له صومعة يتعبد فيها، فلا رهبانية في الإسلام، لا يكون متقاعد من العمل.

من أجل ذلك نحن نقول للأمة أخرجوا في سبيل الله بالترتيب ثلاثة أيام، أربعين يوما، وأربعة أشهر، استئناسا بما ورد في الكتاب والسنة، قال ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾(١) ، وفي الحديث:" من صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر كله" فثلاثة أيام بأجر شهر كامل ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾(٢) " عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣)(٤).، فلا بد لجميع الأمة أن يخرجوا في سبيل الله، ويستثنى

---

(١) سورة مريم – الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٥١ .

(٣) مشكاة المصابيح» كتاب الصلاة» باب ما على المأموم من المتابعة وحكم المسبوق(١١٤٤).

(٤)(بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ) أي: خلاص ونجاة منها يقال : برئ من الدين والعيب : خلص (وبراءة من النفاق) : قال الطيبي: أي : يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ويوفقه لعلم أهل الإخلاص ، وفي الآخرة يؤمنه مما يعذب به المنافق ويشهد له بأنه غير منافق يعني : بأن المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، وحال هذا بخلافهم قاله ابن حجر، وفي عدد الأربعين سر مكين للسالكين نطق به كتاب من رب العالمين وسنة سيد المرسلين ، فقد جاء في الحديث : " من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " فكأنه جعل هذا المقدار من الزمان معيارا لكماله في كل

المعذورين (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (١)

ولكن الصحابة طلبوا السماح بالخروج لو كانوا معذورين مثل عمرو بن الجموح رضي الله عنه في أحد وهو الأعرج، وأحد الصحابة عندما سمع بآية الإنفاق في سبيل الله اشتغل عند يهودي كي يقوم بهذه الآية.. فالدعوة بالمعاشرة والأخلاق والترتيب الصحيح، ترتيب الجولات والزيارات.

- **الشيخ يوسف** (رحمه الله): دعا يوما بدعاء قال فيه: اللهم من ترك هذا العمل فاجعله في حيرة من أمره حتى يرجع إليه.

كل الذين تركوا هذا العمل هم في حيرة، فما هو الحل ؟؟؟ الرجوع إلى العمل، وإلا هناك نوعان من العذاب (عذاب الادنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجون) لذلك الله جعل الدين هو السبب من جميع الفتن.

- **ويقول الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي ترك جوله واحده كأنه ارتضي بتأخير الهدايا للعالم ..الجولة أكبر سبب لنزول الهدايا من العرش الي الثري.

شأن كما كملت له الأطوار كل طور في هذا المقدار ، والله أعلم بحقائق الأسرار ودقائق الآثار (رواه الترمذي) وقال: وروي عن أنس موقوفا نقله ميرك . قلت : ومثل هذا ما يقال من قبل الرأي فموقوفه في حكم المرفوع، قال ابن حجر: رواه الترمذي بسند منقطع ومع ذلك يعمل به في فضائل الأعمال (مرقاة المفاتيح).

(١) سورة التوبة – الآية ٩١.

- **ويقول الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي حياته مطابقة لدعوته دعوته مقبولة، والذي حياته مخالفة لدعوته دعوته مردودة.
- قال الشيخ يوسف (رحمه الله): الذي قال كلمة واحدة ولو رجل صالح قال كلمة تمزق الأمة هو في النار، ولو إنسان فاسق قال كلمة تجمع الأمة هو في الجنة.
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي نوى من الجهد هداية الناس فالإيمان يأتي في الناس، والنفاق يأتي فيه، مقصود الجهد ليس الناس، مقصود الجهد النفس، لذلك بين الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): في أخر بيان بينه في باكستان ، قال إذا أنتم يقينكم في هذا الجهد على يوسف فأنتم تعبدوا صنم.
- **قال الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله): الذي نوى من الجهد الناس فالإيمان يأتي في الناس والنفاق يأتي فيه، والذي نوى من الجهد هداية نفسه الله يهديه ويهدى به الناس.
- **قال الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله): إذا تطلبوا الهداية بالطلب الصادق الحال الذي أتي علي الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يأتي عليكم، لأن هذا طريقهم، فعلي قدر الطلب يأتي الحال الذي أتي عليهم.
- **قال الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله): الذي عنده جهد النهار وليس عنده

---

(١) سورة الحجرات – الآية ١٢ .

جهد الليل هذا لا يدعو الناس إلى الله، هذا يدعو الناس إلى نفسه، والذي عنده جهد النهار مع جهد الليل تتوافق عنده شروط الهداية، والذي عنده جهد النهار وليس عنده جهد الليل لا تتوافق عنده شروط الهداية.

- **قال الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله): كونوا مظلومين ولا تكونوا ظالمين، لأن المظلوم معه الله.
- **قال الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله): الذي يقوم بهذا الجهد وينظر إلى تقصيراته يترقى، والذي ينظر إلى تضحياته يتأخر.
- **قال الشيخ محمد يوسف** (رحمه الله): إذا يقوم الجهد جميع الفتن المخفية تظهر، قالوا يا شيخ لماذا تظهر ؟ قال حتى يزيلها الله، نظام من الله، لأن الله يريد الحق ، لكن له نظامه، فما هو المطلوب منك؟ أن يأتي الحق فيك، وسنة الله إذا أهل الحق قاموا على الحق حقاً، الله هو الذي يحق الحق بكلماته، لذلك هذه فرصة أن يجعلك الله سبب لإقامة الحق.
- كان الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي مع الشيخ عبد الوهاب – من أهل الدعوة – قبل اجتماع أقيم في الباكستان – وصاحب فكرة الاجتماعات الشيخ محمد يوسف – فقال الشيخ عبد الوهاب للشيخ محمد يوسف: أدعو للاجتماع قال: أنا لا أدعو للاجتماعات لكني أدعو للتبليغ. قال الشيخ عبد الوهاب: هذا الاجتماع للتبليغ قال: لا، التبليغ أن تمشي إلى جميع الناس فردا فردا ثم تنشئ فيه الرغبة والاستعداد للجلوس في حلقات التعليم ثم يأتوا بغيرهم .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): أصولنا ليست من العقل، بل أصولنا من

النقل، الذي يأتي من العقل ظلمة والذي يأتي من النقل نور كلام الله، وكلام الرسول فلا نغير ولا نبدل، في التغيير والتبديل هذا ليس دين، بل دنيا.

- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): الذي يمزق الأمة الله لا يصلح حياته ولو كان في صحبة نبي، مقصود المنافقين تمزيق الأمة، فالله ما أصلح حياتهم مع أنهم كانوا في صحبة النبي والله أعطاهم .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): بداية الحق المكاره، ونهايته الجنة، وبداية الباطل الشهوات، ونهايته جهنم، ومزاج الحق ثقيل، مزاج الباطل خفيف ، لذلك الله عز وجل أراد الجهد .
- **يقول الشيخ / مفتى زين العابدين** (رحمه الله) :كان الشيخ يوسف رحمه الله عليه يقول لنا: أخلصوا أنفسكم لهذا الجهد وسترون شعوب العالم وأقوام العالم ورؤسائهم الذين ما كان يخطر على بالكم إنهم يأتون إليكم، سيأتون إليكم لتعلموهم الدين، وما قال الشيخ هذا الكلام بأم رأسه، بل نبينا محمد ﷺ أخبرنا: " لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ وَذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا ". قَلْتُ فَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ(١).

وقال الإمام مالك: لا يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح أولها .

عندما تشعر هذه الأمة، أغنيائها وفقرائها ورؤسائها وعمالها وموظفيها وقويها وضعيفها مسئوليتها عن هذا الدين، وتدرك أنها لابد

(١) مشكاة المصابيح» كتاب الإيمان(٤٢).

أن تتعلم هذا الدين بسائر نواحيه، وتبلغه للعالم كله، وتربى البشرية كلها، وتعلم المؤمنين منهم الشفقة والرحمة والمحبة والأخلاق الفاضلة والمجاهدات العظيمة التي فعلها النبي ﷺ وعندما تفعل ذلك ينتشر الدين في العالم وتنزل الهداية على كل العالم .

- **قال الشيخ يوسف (رحمه الله):** الذي يتكلم مع الناس في كبرياء الله ولا يقصد نفسه يأتي في الناس كبرياء الله وعظمة الله ويأتي عنده كبرياء النفس.
- **قال الشيخ يوسف (رحمه الله):** نريد شوكة الإسلام ومجد الإسلام، والله ﷻ يقول: ﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

الآن لا يريدون الإسلام.. بل يريدون مجد الإسلام!!! ولحصول مجد الإسلام .. لا يأتي إلا بالدعوة إلى الله ﷻ فتتحقق العبودية وبالعبودية تأتى حياة التقوى والإيمان، فالله ﷻ يكون معهم ويكون لهم الغلبة على أعدائهم.

- **سُئل الشيخ يوسف رحمه الله وهو يتكلم عن السنة وعظمتها .. فقيل له:** تتكلم عن السواك والسنة والناس قد وصلوا للقمر ..؟! فقال الشيخ (رحمه الله): هم صعدوا على القمر وتعرفوا على القمر ولم يتعرفوا على خالق القمر ، فمخلوق تعرف على مخلوق لا يعنى شيء، كما أن الصفر + الصفر =

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٣٩ .

صفر.. والعصفور على الأرض عصفور، ولو صعد على الشجرة فهو عصفور ، ولو صعد على الجبل فهو عصفور، فالكافر على الأرض كافر وعلى القمر كافر .. وهؤلاء الذين وصلوا إلى القمر قالوا رأينا الدنيا مثل الكرة فكيف يقتتلون عليها وهى حقيرة، ونحن سعادتنا بأن نبينا وحبيبنا محمد ﷺ أخبرنا قبل أربعة عشر قرناً من الزمان أن الدنيا لا تساوى جناح بعوضة ومن شرف نبينا ﷺ أنه صعد إلى السماء الأولى ثم الثانية .. وهكذا حتى السابعة حتى سدرة المنتهى.. ورأى الجنة والنار ولم ينزل على القمر ولا الشمس هذه الكواكب السيارة مثل الطرق المتشعبة والنبي ﷺ وهو على الأرض فقط بإشارته بإصبعه إلى القمر انشق نصفين، فالوصول إلى القمر لا يساوي شيء أمام الإشارة بالإصبع، والذين وصلوا إلى القمر قالوا نحن رأينا هذا الشق فى القمر.

وفى زمن الصحابة رضي الله عنهم لم يكن يستطيع أحد أن يفكر فى الوصول إلى القمر حيث كانت وسيلة الانتقال الجمل ولكن القرآن أخبر﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وماذا عن الذين وصلوا إلى القمر ؟!

عندما وصلوا إلى الأرض أحدهم جُن عقله وطلق إمرأته والآخر وضعوه في غرفة لأنه جاء بجراثيم من القمر .

إذن الترقي : هو ما كان عليه الصحابة الكرام ﷺ ، كانت الملائكة تنزل عليهم، والرياح، والبحار، والنيران... تسخر لهم ، وبحركتهم كانت

(١) سورة الإنشقاق – الآيات ١٨ : ٢٠ .

تتحرك العوالم ، فترقى الإنسان ليس فى الأشياء ، بل في حياة الأنبيـــاء عليهم الصلاة والسلام .

- **قال الشيخ يوسف**(رحمه الله): علامات الإخلاص المداومة على الأعمـــال حتى الموت .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): لا يثبت الـــداعي فـــي الـــدعوة إلا إذا تغيرت حياته إلى ما يدعو إليه .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا لم يتحرك الداعي للدعوة دليل علـــى أنه سقط .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): الشمس إذا توقفت تقوم الساعة .. كذلك الداعي إذا توقف عن الدعوة يفسد العالم .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن الشمس نورانية تملأ الأرض نـــوراً، فلو صارت مظلمةً لانتشر الظلام، وكذلك أنتم أيها الدعاة تخرجـــون مـــن بيوتكم، وتنتقلون من مكان إلى مكان، فإذا كنتم حاملين للنور، انتقل هذا النور إلى كل مكان تزورونه، وإلى النفوس التـــي تخاطبونهـــا، فـــالأمر الأساسي في سبيل الدعوة أن يحمل الداعي نورا في قلبه، فينتقـــل هـــذا النور إلى قوله وعمله، ولكن لا يولد هذا النور إلا بالقيام بالأعمال التـــي تولد النور، فعليكم أن تلازموا هذه الأعمال.

وهذه الأعمال هي:

١ ـ الدعوة إلى كسب الإيمان واليقين وهي ميراث الأنبياء، والنصيحة

لعباد الله بالإخلاص وحسن النية.

٢ _ الصلاة وسائر العبادات من ذكر ودعاء واستغفار وتلاوة.

٣ _ الاشتغال بالعلم (وخاصة الذي يشمل عل الترغيب والترهيب).

٤ _ الخلق الحسن والاقتداء فيه بسنة رسول الله وخُلقه.

٥ _ وأن يكون كل عمل ابتغاء مرضاة الله وحسب سنة رسول الله.

٦ _ مع الاستقامة على الأعمال بكل ثقة ويقين.

- **ويقول الشيخ يوسف** (رحمه الله): أثناء توديعه للجماعات الخارجة في سبيل الله): عليكم أن تحترسوا كل الاحتراس في هذه الفترة من عدوين يرافقانكم، وهما النفس والشيطان، فقد ودعتم أهل البيت، وتركتم بيوتكم وأصحابكم، ولكن النفس والشيطان يرافقانكم، ويسعي كلاهما أن يصرفكم عن أعمال النور إلي أعمال الظلام، فتحرموا من ثمار هذه الدعوة.

إن الطريق الذي ينجيكم من هذين العدوين، هو أن تشتغلوا سوي أوقات النوم بأعمال النور، فلا يكون شغلكم إلا الدعوة أو الصلاة أو الذكر أو التلاوة أو التعليم والتعلم، أو عمل يرضي الله تعالى، ولا يكون في ليلكم ولا نهاركم فراغ.

ومما يهم أن هذه الأعمال لا تكون أعمال نور إلا إذا صدرت بنية الحصول على رضوان الله واليقين بأجر الآخرة، فإذا فسدت النية ضاعت هذه الأعمال، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ حَدَّثَهُ ، أَنَّ شُفَيَّ الأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ ، أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ،

فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلا قُلْتُ لَهُ: نَشَدْتُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلا ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَيْتِ، مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى فَمَكَثَ كَذَلِكَ، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: أَفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ، وَأَسْنَدْتُهُ طَوِيلا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ

اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ، أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ "، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيَّ، فَقَالَ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، قَالَ الْوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ، أَنَّ شُفَيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي الْعَلاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }(١). قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قُلْتُ: وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ غَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وخلاصة القول أن تراعوا حسن النية في الأعمال، والاحتراس من كل

(١) سورة هود _ الآيتان ١٥-١٦.

ما يخل بهذه النية، والاشتغال الكامل بأعمال النور.

- **يقول الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا فسد يقين الإنسان فهو يفسد في الأرض أكثر من فساد الهوام والحشرات والسباع والدواب لأنه أصبح أضل من الحيوان .

فالحيوان المفترس يبدل حياة الآخر من أجل حياته أي يملأ بطنه بهلاك غيره.. والأسد عندما يهجم على الغزالة أو الشاه فهو لا يتفكر في صغارها بل يفترس ليشبع نفسه.

والحيوان المفترس إذا دخل على الشياه هو يفترس شاه .. اثنين .. ثلاثة.. ثم يترك الباقي ويذهب.. ولكن الإنسان الذى فسد يقينه وظن أن عزه وفلاحه فى المال.. فمن أجل حصوله على المال يفعل أي شيء.. لو جاءه الغنى يأخذ منه الرشوة.. لو جاءه الفقير يطلب منه الرشوة.. مثل هذا الرجل إذا كان موظف فى قرية فهو يسبب الفساد في القرية.. وإذا كان ملكاً.. أفسد في المملكة .

- **قال الشيخ يوسف**(رحمه الله): لا تبحثوا عن الراحة، بل اخرجوا في القرى الصعبة والبعيدة التي ليس فيها مقاميين ولا إكرام.
- قال الشيخ يوسف (رحمه الله): إذا دخلنا قرية نُحملهم المسئولية ونكلمهم عن الغيبيات وما تؤول إليه الأشياء من فناء وهلاك، ولا ننشغل بما في أيديهم ، فإن ما في قلوبهم يأتي في قلوبنا.
- **قال الشيخ يوسف**(رحمه الله): الناس مشغولون بالدنيا، فإذا نخرج إليهم ونحنُ مشغولون بالدنيا مثلهم، يكون يقيننا ويقينهم سواء، فلا يؤثر

كلامنا فيهم.

- **قال الشيخ يوسف(رحمه الله):** الأعمال الاجتماعية سبب نزول الرحمة والهداية، والفكر الانفرادي يهلك الأمة، قال تعالى: { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(١).
- **قال الشيخ يوسف (رحمه الله):** الناس تقضي حوائجها بالمال، ونحنُ نقضي حوائجنا بركعتين.
- جاء رجل إلى الشيخ يوسف وقال له: أنا قرأت حياة الصحابة ، أعطني كتاب آخر، فقال له: هل أنت عملت بهذا الكتاب(فالمقصود العمل).
- الشيخ يوسف(رحمه الله) كان قبل البيان يجلي ساكنا صامتاً فسأله أحدهم وقال: يا شيخ ! هل تقرأ شيئاً قبل البيان ؟ قال الشيخ يوسف: لا، أنا لا أقرأ شيئاً ، ولكن أنا أخاطب نفسي أن هذا الكلام يا يوسف لك، هذا الكلام ليس للآخرين، ولكن لنفسي أنا .
- **قال الشيخ يوسف(رحمه الله):** هذا العمل مثل المغسلة، ويأتي فيه الذين ما تربوا، وندر عندهم الأدب والاحترام، وليس عندهم ثقافة ولا تحضر، وإنما يأتون من الخمارات ومن النوادي، وبعضهم من البادية أو

(١) سورة آل عمران – الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤.

الأعراب، فهم يأتون وهم يخطئون، وعند خطئهم معنا كيف تكون معاملتنا معهم؟ إذا عاملناهم بالمؤاخذة والحساب والعقاب فهم يفرون منا ويرجعون لبيئاتهم، ولكن نعاملهم كما أمر الله نبيه أن يعاملهم فقال تعالى لرسوله: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾(١) .

- **يقول الشيخ محمد عمر البالمبورى** (رحمه الله): في زمن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي كانت الجماعة خارجة في سبيل الله عز وجل وكان في الجماعة من كبار العلماء مثل الشيخ محمد يوسف والشيخ مفتى زين العابدين والشيخ سعيد أحمد، فكلما ينزل في مسجد يقرأ في حلقة التعليم من كتاب فضائل الأعمال، فاعترض أحدهم وقال إلى متى نقرأ من هذا الكتاب والناس تحتاج إلى الفقه ؟، فوصل الخبر إلى الشيخ محمد يوسف رحمه الله فقال أنتم ما فهمتم مقصد الدعوة ومقصد التعليم في هذه الحلقة، الذى نريده كيف يأتي الشوق والرغبة لأعمال الدين في قلوب المسلمين.. فاليوم الذى لا يصوم عنده علم الصوم، والذى لا يصلى عنده علم الصلاة.. وهكذا ولكن لا يمشون على الدين لماذا ؟ لأنهم ليس في قلوبهم الشوق والرغبة والطلب الصادق للدين والارتباط بالعلماء لا يأتي إلا بالتعليم .
- **قال الشيخ يوسف** (رحمه الله) مبينا أهمية الصلاة: إن الصلاة هي مجموعة لأعمال النبوة، وقد أمرنا الله بترك جميع الأعمال الدنيوية والانصراف إلى المسجد لتأديتها فيه، ولم يأمر في الصلاة بترك الأعمال

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٥٩.

الدنيوية فحسب، بل منع من أن يخطر ذلك ببال المصلي، وأمر بالانصراف الكامل عن سائر الأعمال الدنيوية.

- **قال الشيخ يوسف (رحمه الله):** في المسجد كانت تقام أعمال التعاون، والايثار، والنصح والمواساة، وكل الناس تحضر المسجد ويتعلمون فيه، واذا ذهب الى عمله في ميدان الحياة، مشى على ما تعلمه في المسجد.
- **قال الشيخ يوسف (رحمه الله):** فى الحديث الذى رواه الإمام البخاري ومسلم عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ: " خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ " متفق عليه.

فالخيرية ليست في القرن ذاته بل الخيرية بالأعمال الموجودة في القرن، فالعرب من عادتهم يذكرون الظرف ويريدون المظروف الذى بداخل الظرف، مثلاً يقولون: جرى النهر، ولكن ما جرى النهر بل الماء الذى في النهر " خَيْرُكُمْ قَرْنِي.." المقصود به مظروف القرن والمظروف في قرنه كانت الأعمال والذكر والدعوة والتزكية والتعليم والعبادات .

فأي قرن فيه هذه الأعمال فهو من خير القرون وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: " إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا

وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ ". رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١).

- **وقد حكى الشيخ محمد يوسف(رحمه الله) أن أحد التجار، كان بحمد الله لا يترك الصلاة في المسجد، ومحافظا على الصوم وحج بيت الله الحرام، شاهدته مرارا يغلق الدكان عند سماعه الأذان في الظهر والعصر والمغرب والعشاء، والفجر يصلي في المسجد المجاور لبيته، وهو مسجد لأهل ألسنه والجماعة، ويسمع خطبتي الجمعة بانتظام فيه.**

ويعرف الحلال والحرام، ويعلم إن الربا من الكبائر وكم سمع من محاضرات وخطب في ذلك، ولكنه للأسف مع كل ذلك يضع أمواله في بنوك ربوية طمعا في أرباحها، ويقترض أمولا بأرباح ربوية لعقد صفقات مربحه، ولم يستطع الكف عن ذلك،، مع ان حالته الماليـة ميسورة لا حاجة ضرورية تلجئه لفعل تلك المصيبة بل الكبيرة من الكبائر كما هو معلوم، ولم نكن نعرف تلك معاملته بالربا إلا بعد إقراره بها بعد ذلك.

اجتمع على غداء مع ثلاثة من مشايخ التبليغ، فما تركوه إلا وقد اخذوا جوازه وقيمة التذاكر وسافر معهم لحضور اجتماع بنجلاديش، ومن هنالك مدد المدة لأربعة أشهر،

وما هي إلا أيام معدودة إلا والاتصالات تنهال منه على ابنه إلا يتأخر بإيقاف جميع التعاملات الربوية وسحب كل المال من البنوك وتسديد ما عليه فورا دون تأخير، والابن غير مصدق من هذه التوجيهات الحازمة،

---

١) مشكاة المصابيح – باب ثواب هذه الأمة – ٣ / ١٧٧١ .

ويرد عليه أنه سوف يفعل إن شاء الله، وتتكرر الاتصالات مرة بعد أخرى حتى شعر الابن أن الأمر ليس بالهزل ولم يكن بعاطفه سرعان ما ينتهي مفعولها.

بل هدد الأب ابنه يا ويله إن عاد وهنالك وروبية واحدة في البنك، والحمد الله استمر على ذلك المنوال بعيدا عن الربا محذرا منه معترفا لنا بمدى تعدية لحدود الله، وكرر الخروج أربعة أشهر مرة أخرى ولم يعد يتعامل بالربا حتى وفاته رحمه الله بعد سنيين عديدة، وتجارته رابحة.

فكيف حول الله هذا قلب هذا الرجل من الجشع المحرم للحلال من التعامل في بضعة أسابيع وعجزت الخطب والمحاضرات سنين طويلة من ردعه عن فعل كبيرة من الكبائر رغم أن ظاهره الصلاح والتقوى بل كان يلقب بالحاج وهو يتعامل بالربا المحرم.

إنها حركة تحريك الإيمان في قلوب العباد.

بالخروج في بيئة الإيمان والصحوة من السبات العميق على فراش المعصية وحب الدنيا التي تعمي القلوب والابصار وأن كان ظاهرنا الدين والتدين.. والحمد لله والشكر على هذه النعمة نعمه الحركة والتضحية لهذا الدين القويم وأن يحفظها الله من الزوال.

- **وقد وجه الشيخ يوسف** (رحمه الله) كلمة مؤثرة للعلماء في اجتماع رائي وند أثناء رحلته الأخيرة إلى باكستان والذي توفي فيها، فقال: إن الله يقيض رجالا في عصور مختلفة، وقد قيض لهذا العصر الشيخ إلياس (رحمه الله) ، وهدى به الناس إلى الحق، والآن تتحملون أنتم أيها العلماء

هذه المسؤولية، فإذا قمتم بهذه الدعوة، وأخذتم زمامها بأيديكم، فإن سفينة الأمة التي توشك أن تغرق، ستصل إلى شاطئ النجاة بسلامة، وبكى وأبكى العلماء.

- **وفي نفس الاجتماع بين في أساتذة الجامعة، فقال: إن الولاية لها قسمان:**

القسم الأول: أن يترك الإنسان كل شيء، وينقطع عن الخلق، ويختار التزكية ويتوجه إلى الله كليا، وهذا أدنى درجة للولاية.

القسم الثاني: وهو أعلى درجة للولاية، وهو أن يواصل الإنسان مسؤولياته، ويؤدي واجباته خير تأدية حسب صفات الأولياء، ولكن لتحقيق هذه الدرجة من الولاية يجب أن يفرغ السعي إليها بعض وقته لتنمية اليقين، وتزكية عبادته وأخلاقه، ثم يعود إلى مسؤولياته، ليؤديها خير تأدية، وينقل إليها هذه الصفات العليا.

- **وقال في نفس الاجتماع:** أيها الأخوة: إن الإنسان يجتهد في هذه الحياة لشيئين لما يتعلق بهذه الدنيا ولما يتعلق بذاته، ما يتعلق بهذه الدنيا كبناء السكن وشراء الأرض وإنشاء المصانع وكسب المال، والحصول على الوظائف، فكل عمل يقوم به الإنسان يستهلك قواه، ويشغل باله، ويصرف همه إليه، وتكون النتيجة أن الإنسان يفقد نفسه وذاته وينشغل عن تهذيبها وتثقيفها وإحراز كمالها، وعندما يأتي أجله فكل ما كسبه من أمور الدنيا وأمتعتها تبقى في هذه الدنيا ويتركها لغيره، ويذهب إلى ربه صفر اليدين، وعندما يقف يوم المحشر ينظر إلى شخص آخر ترك هذه الأمور والسعي وراءها، وعكف على تربية نفسه، وضياع عمره، وتنهمر

دموعه، ويندم حيثُ لا ينفع الندم.

فإن الاجتهاد وبذل الجهد لتزكية النفس وتصفية القلب، أي الجهد لوقاية اللسان ولوقاية الأذن، ولوقاية العين، يوصل الإنسان إلى درجة أفضل من هذه الدنيا ملايين درجة، مثلا أنت في طريقك، فيقع نظرك على امرأة، فقال القلب: إذا وقع نظرك مرة أخرى هلكت، فحولت بصرك على الفور، فإن تحويلك لبصرك مرة يكسب من ثواب الآخرة وأجر الله تعالى ما لا يمكن تصوره، فلو أنزل شيء من هذه النعم على الأرض لتقاتل رجال الدنيا للحصول عليها.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن الاجتماع لابتغاء وجه الله تعالى، تنزل عليه الملائكة من السماء ويسلمون على المجتمعين، وفقنا الله تعالى جميعا لنجتمع لابتغاء رضا الله، لتنزل علينا الرحمة ، ويعيش الانسان بالسكينة، ويحصل له السعادة والفوز.
- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا جاء فاسق وكاذب بنبأ، إن جماعة أو فرداً يطمع في مالك ويدبر لانتهابه واختلاسه منك، فتنصرف إلى مالك، وتفكر في حفظه ووقايته، وإن كان هذا المخبر كاذبا وفاسقا في تصورك وتجربتك، ولكن نبي الله الذي نؤمن به أنه صادق أمين ونبي مرسل من الله، وإذا كان إيماننا بصدقه وأمانته غير كامل، كنا خارجين عن الإسلام، إن هذا الصادق الأمين يقول:" لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ

اللّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ "(١)، أي لا قيمة لشيء إلا الآخرة، ولا بقاء إلا الحياة الآخرة فافعلوا ما شئتم لتلك الحياة، وإلا يكون نسيكم الندم في تلك الحياة الباقية، فنسمع هذا الخبر، ولا يهمنا، ولا نثق به، لماذا؟ لأن ما في هذه الدنيا من مال وأولاد هي في مشاهدتنا وتجربتنا، والحياة الآخرة غائبة عن عيوننا، وذلك هو الإيمان بالغيب، فإذا أبصرنا، لم يكن ذلك إيمانا بالغيب.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): بفضل هذا الجهد يوجد جو صالح ويحدث في القلوب الهمّ والفكر لإنقاذ هذه الأمة من سيطرة اليهود والنصارى، وبضراعة هذه الأمة وخشوعها وإنابتها إلى الله يقدر الله خروج هذه الأمة من مأزقها إلى لمعانها من جديد، فقد قتل مليون وسبع مائة ألف مسلم من مجموع مليوني ومائتي ألف مسلم بأيدي التتار، ثم فتح الله باب النصر لهم، بالتضرع إلى الله.
- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا كنتم تتكلمون مع أحد رجال العلم والدين فعليكم أن تكتفوا في كلامكم بطلب الدعاء منه، وشرح منهج عملكم بالتلخيص.
- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا خرجتم في جولة خاصة يجب فيها

---

١) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الزهد، باب: هوان الدنيا على الله):٤/٥٦٠ برقم: ٢٣٢٠)، والبيهقي في الشعب(٧/٣٢٥)، وأبو نعيم في الحلية(٣/٣٥٣)، والقضاعي في مسند الشهاب(٢/١١٦)، والزهد لهناد(١/٣٢١)، وابن عدي في الكامل(٥/٣١٩) من طريق عبدالحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل بن سعد.

إنوال الناس منازلهم، والتحدث إليهم حسب مراتبهم، فإذا وجدتم أنه لا يصغى إليكم عليكم أن تلخصوا كلامكم، وتدعوا له بالخير.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): وفي الجولة العامة عليكم أن تدعوا الناس إلى الاجتماع في المسجد وتعرضوا عليهم الإيمان واليقين، والصلاة وذكر الله، وعلم الدين والأخلاق الحسنة، ثم يتم تشكيلهم(أي دعوتهم للخروج في سبيل الله).

وبعد الانتهاء من عمل الدعوة تضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى وادعوه مخلصين منيبين إليه، فهو مصرف القلوب ، وهو الذي يهدي ويهب الخير، وهو المانع وهو المعطي.

والعمل الثاني بعد الدعوة: الاشتغال بالتعليم.. وما يبقى من الوقت من الدعوة والتعليم، يصرف في التلاوة والذكر وخدمة الخلق.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): يقال اليوم: إن الإسلام لا يصلح عمليا في عصرنا، صحيح أن الذهن الذي تعود على الأخذ، كيف يقبل طريق العطاء، فإذا جعلتموه خاضعا لأهوائكم وأحوالكم، فلا يبقى ذلك الإسلام إسلاما حقيقيا، بل هو دين جديد من صياغتكم.

أراد شخصا تصوير أسد على جسمه بالوشم، فلما بدأ الواشم الوشم شعر الشخص بوخزة الوشم، فقال للواشم: ماذا تعمل؟ قال: أضع ذَنَبَ للأسد، قال اترك الذَنَبَ واصنع صورة الأسد بدون ذَنَبَ، فترك الواشم الذَنَبَ، وبدأ يصور من جسم الأسد عضوا آخر، فقال: ماذا تصنع؟ قال: الأذن، فقال له: اترك الأذن، أيلزم تصوير الأذن هكذا.

أيها الأخوة أنتم تعملون مع الإسلام، تريدون أن تحملوا صورته حسب ذوقكم وأحوالكم، كصورة ذلك الأسد، تريدون قطع ما لا يلائمكم، وحذف ما لا يناسبكم من الإسلام.

- **ويقول في موضع آخر وهو يشرح هذه النقطة شرحا مستفيضا:** إن الأحكام الدينية التي يعمل بها المسلمون اليوم في أي شعبة من شعب الحياة هي الأحكام التي تؤثر في مصالح المسلمين المالية، أو تطلب منهم مجهود جسمي، فيصعب عليهم العمل بها، فيقضون حياتهم رغم إيمانهم واعتقادهم بالإسلام كدين يقون حياة تتنافى مع تعاليم دينهم.

عن جُنْدُبٍ الْبَجَلِيِّ كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا – ﷺ– فِتْيَانًا حَزَاوِرَةَ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَنَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ.

وكان ذلك السبب الأساسي لعاطفة الصحابة الكرام الإيمانية واحترامهم بالإسلام، ومحبتهم للرسول ﷺ، واعتنائهم بأحكام الله، وتمسكهم بشريعته، واعتصامهم بحبله، فإن العلم وحده لا يُغني إذ لم يقترن به الإيمان، ويُصبح هذا العلم المجرد عن الإيمان وبالا.

يجب في أول الأمر إخضاع الطبيعة للإسلام، ولا يتحقق ذلك إلا باليقين، بأن الله تعالى هو القادر المطلق، وله الحكم والأمر كله، ولا يستطيع أحد غيره، أن يضر وينفع، وأن الاضطراب والهدم والبناء، والفوز والفشل لا يأتي من الأشياء المادية والوسائل، بل بأمر الله تعالى وحكمه، وإن الله تعالى يحكم بالنجاح والسعادة إذا عدنا إلى طريق محمد

ﷺ ، وللسفر في هذا الطريق، يجب الحصول على ثروتين: اليقين بـــالله، واستحضاره في القلب، واليقين بأن الطريق لنزول رحمة الله ونصرته هو طريق محمد صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله) وهو يشرح معنى الإيمان: لـــيس الإيمـــان واليقين بالظواهر حسب الظواهر، بل هـــو ترســـيخ الإيمـــان بـــذات الله وصفاته والقيام بالأعمال المطابقة لهذا الإيمان، واليقين بالأنباء الـــواردة عن هذه الأعمال، ضد الظواهر والمشاهدات.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): قال الرسول ﷺ ردا على سؤال وجه إليه، أخبركم غدا، فنزلت الآية:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(١) (٢)، وأنتم تقولون نفعل كذا، وسنفعل كذا وكذا، والواقع

---

١) سورة الكهف – الآيتان ٢٣ ، ٢٤.

٢) نَهَى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ سَيَفْعَلُ شَيْئًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَّا مُعَلِّقًا ذَلِكَ عَلَى مَشِيئَةِ [ص: ٢٥٣] اللَّهِ الَّذِي لَا يَقَعُ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ كَائِنًا مَا كَانَ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَلَا ، فَقَوْلُهُ : وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ [١٨ \ ٢٣] ، أَيْ : لَا تَقُولَنَّ لِأَجْلِ شَيْءٍ تَعْزِمُ عَلَى فِعْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ الشَّيْءَ غَدًا .

وَالْمُرَادُ بِالْغَدِ : مَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ لَا خُصُوصُ الْغَدِ . وَمِنْ أَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ إِطْلَاقُ الْغَدِ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الزَّمَانِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، إِذْ لَا وَجْهَ لِتَخْصِيصِ الْغَدِ الْمُعَيَّنِ بِذَلِكَ ، وَقَوْلُهُ : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [١٨ \ ٢٤] ، إِلَّا قَائِلًا فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، أَيْ : مُعَلِّقًا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، أَوْ لَا تَقُولَنَّهُ إِلَّا بِإِنْ شَاءَ اللَّهُ ، أَيْ : إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، يَعْنِي إِلَّا مُتَلَبِّسًا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ قَائِلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وَغَيْرُهُ .

أنكم إذا أردتم أن تموتوا لا تستطيعون ذلك، فإن صفة الخلق لا يتصف بها إلا الخالق، وإن الخلق كله تابع وخاضع لإرادة الخالق في المولد والنشأة والبقاء، وفي الموت، وفي كل أمر من أمور الحياة.

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن الخوف من القنبلة الذرية كخوف المشركين من الأصنام التي كانوا ينحتونها بأيديهم، فإن القنبلة الذرية ورقاب الذين يملكونها بيد الله، ولا يحدث بالقنبلة الذرية إلا ما أراد الله، كان فرعون يقول: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١). ولكن الله تعالى جعل هذه الأنهار سببا لغرقه وهلاكه.

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن النجاح والفوز، والخيبة والهزيمة لا تنطبق إلا على ما بداخل الإنسان ولا صلة للنجاح والخسران بالخرائط والمظاهر الخارجية، وإن ثروة الإنسان الداخلية هي الإيمان وأعماله،

وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِقُرَيْشٍ : سَلُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ ، وَعَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ فِي الْأَرْضِ ، (يَعْنُونَ ذَا الْقَرْنَيْنِ) ، وَعَنْ فِتْيَةٍ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي ، يَعْنُونَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا عَمَّا سَأَلْتُمْ عَنْهُ "، وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَبِثَ عَنْهُ الْوَحْيُ مُدَّةً ، قِيلَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . فَأَحْزَنَهُ تَأَخُّرُ الْوَحْيِ عَنْهُ ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْجَوَابَ عَنِ الْأَسْئِلَةِ الثَّلَاثَةِ ، قَالَ فِي الرُّوحِ : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي الْآيَةَ [١٧ ١ ٨٥] ، وَقَالَ فِي الْفِتْيَةِ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ الْآيَاتِ [١٨ ١ ١٣] إِلَى آخِرِ قِصَّتِهِمْ ، وَقَالَ فِي الرَّجُلِ الطَّوَّافِ : وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا [١٨ ١ ٨٣] الْآيَاتِ إِلَى آخِرِ قِصَّتِهِ .(أضواء البيان» للشنقيطي).

١) سورة الزخرف – الآية ٥١.

فإذا صلح يقين الإنسان وأعماله الصادرة منه كتب الله له النجاح الداخلي، مهما كانت الأمور الظاهرة.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): يحسب الإنسان أن الحقول والحدائق هي التي تقوم بها الحياة، ولكن الله تعالى أهلك قوم سبأ رغم كثرة بساتينها وحدائقها، وربى إسماعيل في وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .

إن العالم اليوم يؤمن بالجيش وقوة السلاح، ولكن الله أهلك أبرهة مع جيشه الجبار بطيور صغيرة، وكذلك تنفي المعجزات يقين الناس بالظواهر.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله) مبيننا أن الدين لا ينتشر عن طريق الحكم والمال: من الخطأ القول أن الحكم إذا حصل يزدهر الإسلام، فإن الحكم والمال يئدان الإسلام، والذين يتولون الحكم اليوم، وفي أيديهم الوسائل المادية الوافرة لا يمثلون أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا يرجى منهم خير للإسلام، ولم يزدهر الإسلام إلا بالتضحيات، ولا يزدهر الإسلام اليوم إلا بهذا الطريق، فإذا بذلت تضحيات للإسلام فإنه يزدهر وسط الأعداء، وإذا لم تبذل التضحيات، انمحى أثره، وإن كان للمسلمين صولة وجولة.

إن رسالة الأنبياء وتجربتهم هي أن جل المسائل والنجاح لا يكمن في المال، ولا في الحكومة، ولا في الأغلبية، بل إنه منوط بأمر الله، والاعتصام به، والتضحية والفداء في سبيله، وقد قص القرآن الكريم منهج الأنبياء، وما عانوا في سبيله، وعصارة جميع هذه القصص هي

المجاهدة والتضحية، فإن قصة نوح عليه السلام وقومه، وإبراهيم عليه السلام وقومه، وقصة نمرود، وقصة موسى عليه السلام وفرعون وقارون، تدل عن الأغلبية والدولة لا قيمة لها، والشيء الحقيقي هو حكم الله ونصرته، وإنه لعباده الصالحين الذين يجتهدون ويجاهدون في سبيله.

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): لا تأتي نصرة الله على أساس الشخصيات، بل تأتي على أساس الأعمال والأخلاق، وقد نصر الله رسوله، ونصر أصحابه والأولياء، وأنعم عليهم، ونصرهم على أساس أعمالهم وجهودهم وتضحياتهم في سبيل الله ومساعيهم في سبيل الله لا على أساس شخصياتهم، وكذلك اليوم إذا تصدى أحد بأعماله وتضحياته وجهوده المخلصة لدين الله، فإنه يستحق نصرة الله، يشاهد ذلك بعينه .

• **يقول الشيخ مفتي زين العابدين** (رحمه الله): كان كل قول من أقوال الشيخ محمد يوسف يبعث على اليقين، بأنه لا فوز في الدنيا والآخرة إلا بالأعمال الصالحة التي تصدر بالإخلاص، ومهما احتشدت الوسائل والأسباب الدنيوية للفوز والكمال، من الحكومة والتجارة والزراعة والصناعة والعلم والسلطة لا تجلب النصر، إلا إذا تسربت فيها روح أعمال الرسول ﷺ، وكان يقول: إن الذين يخوضون في أمور الكون بدون الإيمان بالله كخالق الكون والرسول ﷺ ، هم بمثابة اللصوص وقطاع الطريق، إنهم ستطيعون أن يحصلوا على المال والثروة، لكنهم لا يستطيعون أن يكسبوا الطمأنينة والحب في أي حال من الأحوال.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله)** في الحث على الإخلاص: وكل عمل لا يُنْوى به رضا الله عمل نفساني، مثل إنماء المال، حصول الغلبة، كسب الشهرة، الوصول إلى المنصب، فرض السيطرة، تنفيذ حكمه، إخضاع الناس لرأيه، فالعمل لهذه الأغراض عمل دنيوي لا إخلاص فيه وليس فيه رضا الله، وحتى أن المخلصين كانوا لا يعملون للحصول على ما وعد الله من جزاء، لأن الموعود موعود، ولكن ليس بمقصود، الذين يعملون للحصول على الموعود، ويجعلونه مقصودا، فإنهم يتورطون في الموعود وينصرفون عن المقصود، والذين يعملون لمجرد الحصول على رضا الله، ويعتبرون رضاء الله مقصوداً لهم، يصدق عليهم ما وعده الله، لهم نعم الله الدنيوية من المال والملك، وإذا حصلت لهم هذه الوسائل المادية فإنهم لا ينفقونها على أنفسهم، بل ينفقونها على نشر الدين، وعلى خلق الله، ابتغاء رضوان الله، وهكذا فعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله)**: جعل الله تعالى الأعمال الصادرة من الرسول ﷺ أقوى من القنبلة الذرية، وجعل كل عمل منها وسيلة للانقلاب(١)، في العالم، فصلاة الاستسقاء وسيلة للتغيير في أحوال الأرض، وصلاة الكسوف والخسوف وسيلة لإحداث التغيير في أحوال الشمس والقمر، والدعاء وصلاة الحاجة وسيلة لتغيير كل ما لا يوافق الحياة الفردية والاجتماعية، وإن إشارة الرسول بإصبعه شقت القمر ، وكان ذلك لإثبات أن عمل الرسول ﷺ، له تأثير وقوة، وكانت هذه الإشارة

---

١) يقصد بكلمة الانقلاب التغيير .

النبوية عملا تكوينيا ، أما عمله التشريعي(أي إشارته في الصلاة) فهو أقوى وأكثر تأثيراً.

• **ويقول الشيخ يوسف** (رحمه الله) معلقا على الثقافتين(الاسلامية والغربية): إن الثقافة المأخوذة من حياة الرسول تقوم على الطهر والعفاف والبساطة، وتقوم الثقافة التي استنبطت من اليهود والنصارى على المجون والعربدة، والخلاعة والآثام، والتنعم والترف، لقد آثرتم ثقافة من أراقوا دماء أسلافكم، ونهبوا ثرواتكم، وأحرقوا مساجدكم، وانتهكوا الأعراض، واستباحوا الحرمات، وأثاروا الشهوات، وقاموا بتعرية النساء، وسلبوا دولتكم، وأذلوكم وقهروكم، ولا يزالون يذلونكم، ويدوسون كرامتكم بتقديم معوناتهم المالية كما تربون الدجاج لذبحها، وتتركون ثقافة من ضحى بنفسه من أجلكم، وكسرت أسنانه، واستشهد عمه حموة في سبيله، وسهروا الليالي من أجل الدين، ولا تعجبكم ثقافته.

إن رسول الله أسوة لكم وقدوة إلى يوم القيامة، فإن نبوته إلى يوم القيامة، فعندما يدخل نور الإيمان في قلوبكم تعجبكم حياته ﷺ وسلوكه، وتتمسكون بكل جانب وجزء منه.

• **وألقى الشيخ يوسف** (رحمه الله) كلمة في حفل أقيم لختم صحيح البخاري في إحدى المدارس، فقال: أيها الأخوة ختمتم صحيح البخاري، وحصلتم ما فيه من العلم، وعليكم الآن أن تجتهدوا على هذا العلم لأهداف ثلاثة:

١ _ إيجاد اليقين في نفوسكم حسب هذا العلم.

٢ _ العمل طبقا لهذا العلم.

٣ _ نشر هذا العلم والعمل به في العالم كله.

وقد بذل الجهد على العلم الذي جاء به محمد ﷺ للأهداف الثلاثة المذكورة في العصر الأول، فتغيرت خريطة العمل، واندثرت قوى الروم والفرس، وأصبحت حديث الماضي، وفي الزمن الآخر يتظاهر الدجال بقوته وسطوته، لا تقدر القوى الموجودة في العالم على مواجهتها، ولا تجعل أي وزن أمامها، فيظهر المهدي عليه السلام من الأرض، وينزل عيسى عليه السلام من السماء، وكلاهما يتبع طريقة محمد ﷺ، اتباعاً كاملاً، لا يحيد عنها قيد شعرة، ويجتهد ويجاهد حسب هذا العلم، فيهلك الله تعالى الدجال، ويقضي عليه، فإذا حدث ذلك الماضي وهي حقيقة لا تنكر، وسيحدث في المستقبل، وهو أمر حتمي، فكيف لا يمكن أن يحدث ذلك بين العصرين، فإن الجهد حسب هذا العلم يستطيع أن يحقق اليوم ما حققه بالأمس.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): مُرغبا في العمل الجماعي: أيها الأخوة والأحبة! من المؤسف للغاية، أن أذهاننا لسوء أعمالنا أصبحت فرديـــة، ليس في أمور الدين فحسب بل في أمور الدنيا كلها، وأصبح من عادتنـــا أن لا نفكر إلا في أنفسنا ومصالحنا مهما يكن حال الدين والدنيا، يصـــلح أمرنا وكفى، والواقع أن صلاح الأحوال الشخصية، والسعي له لا يـــردع المصائب والبلايا، بل يزيدها، وما دامت حياتنا الاجتماعية غير صالحة لا تصلح الأحوال الشخصية، والواقع أن كل مســـألة وكـــل مشـــكلة يقـــف صلاحها وفسادها على الموقف الاجتماعي، ولها صلة بالحياة الاجتماعية،

فإذا صرف نخبة من الناس أو جماعة منهم جهودهم لإصلاح مسألة اجتماعية صلحت سائر المسائل الاجتماعية والفردية، فإذا لم تتوفر نفوس عديدة لهذا الهمّ الاجتماعي لحل المشاكل الاجتماعية تفسد سائر الأعمال الاجتماعية والفردية، ولا يبقى سوى النوم واليأس ولا ينفع الندم.

وفي حالة فساد المسألة الاجتماعية إذا اجتمع أولياء الله تعالى وتضرعوا إلى الله وأرسلوا الدموع من عيونهم لإصلاح الظروف لما أصلحت هذه الأدعية الظروف الاجتماعية.

وقد ورد في الحديث الشريف: عَنْ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: " والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرجُلُ على القَبْرِ فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ وَيَقُولَ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ (١).

يأكل الإنسان الإنسان الآخر، ويحدث ذلك عندما يتحول الإنسان حيوانا ضاريا، لا يهمه إلا نفسه، فتصبح كالأنعام.

إن المسألة الحقيقية اليوم هي أن الإنسان لا يضحي، ولا يكد ولا يجتهد إلا لنفسه فيشتغل بالتجارة والزراعة إلى آخر حد ولا يهمه شيء آخر، فلا تصلح الأمور بالاهتمام الذاتي ومعالجة مسائل الذات، فإن

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، (٦٥/١٣) .وأخرجه مسلم في كتاب: الفتن وأشرط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... ، (الحديث: ٥٤) ..

مصرف الأمور هو الله، وهو الذي يصلح وهو الذي يحبه.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله) منتقداً الاتجاه المادي، وطريق معالجة المسائل بالوسائل المادية: إن الأمر الذي يريد الله أن تصرف فيه القوى هو الذي يُصلح الأمور، ولكن الأمور التي يشتغل بها الإنسان بنفسه، ويصرف لها طاقاته، فهذه الأمور تُفسد المسائل وتزيدها تدهورا واضطرابا، سواء كانت هذه المسائل فردية أم كانت اجتماعية، فإذا صرفت القوى على الخلق نزل سخط الله وغضبه، فيصبح الأصدقاء أعداء والمتحابون متخاصمين، يقتل بعضهم بعضا.
- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): كل شيء من الأرض إلى السماء، إما هو موجود، وإما هو آت، جميع هذه الأمور بيد الله، فيجب أن يُصرف كل جهد للحصول من الله وحده، فغذا كان الخوف يجب أن يلجأ إلى الله، فإذا أزال الله هذا الخوف، زال من غير رجعة، وإذا طلب سيء من غير الله لا يحصل إلا بأمر الله، إلا أن الشيء الذي يحصل باستعانة من غير الله، بواسطة خلقه، لا يدوم بل يفنى ويتحسر الإنسان في عاقبة أمره إذا حصل على شيء.
- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن السبب الوحيد للفساد أن الاعتقاد الخاطئ للأخذ من خلق الله والسعي في سبيله، وتحمل الشدائد من أجله، قد سرى فينا وتغلب على عقولنا، واستولى على مشاعرنا وأحاسيسنا بدلا من تصور الأخذ من الله، والتضحية في سبيل أحكام الله، وصار ذلك

طبيعتنا وسيرتنا، وإن الخضوع لأحكام الله وبذل النفس في سبيله يحدث اليقين في نصرة الله، وبمدى تغلغل هذا اليقين في النفوس تفتح الأبواب من الغيب، فإذا ازداد عدد الساعين لدين الله، والمجاهدين في سبيله، ورسخ اليقين أن المرغوبات والمكروهات كلها من الله وجب التضرع إليه، ويسهل تحمل كل مكروه في سبيله، وعندئذٍ تصلح أحوالنا الفردية والاجتماعية كلها، وتحل مشاكلنا.

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن الشيطان يتابعكم، ولا نجاة منه إلا أن تتفرغ منكم مجموعة تنشر الخير وتأمر بالمعروف، وتدعو إلى الأعمال الصالحة، وتنهى عن المنكر، وتمنع عن الفحشاء: قال تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): ويشيع اليوم في هذا العالم السعي للحصول على أشياء، فيجتهد الفلاحون في مزارعهم للحصول على الحبوب الغذائية، فيركزون جهدهم على الزراعة، ورجال التجارة والصناعة يبذلون جهدهم على البضائع التجارية والمصنوعات، وهذا هو الجهد الشائع اليوم، والطريق الآخر هو السعي للتقوى والجهد له، وهذا السعي الذي يكسب للإنسان كل ما يحتاج إليه من المال والمتاع، ويحقق له النجاح والفوز والخير والبركة في الدنيا والآخرة، يقول القرآن الكريم:

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (١).

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): شاع اليوم الجهد على المال، وللأشياء المادية فقط، وقد نسي الناس التقوى وإقامة الصلة بالله على أساس اليقين والإيمان، والأخذ من فضل الله تعالى، والواقع أن هذا الطريق هو الطريق الذي ندعو له في كل ركعة في الصلاة.
- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن هناك مجالين للسعي:

١) السعي للأرض وأعمال الأرض.

٢) السعي للإيمان وأعمال الإيمان.

وجزاء السعي الأول وأجره يحصل في الدنيا، ولكنه أجر لا يرضي أحداً ولا يغني، والسعي الثاني أجره في الآخرة، والدنيا جزاءً موفوراً.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن جهد الأنبياء لم يكن للنفع الذاتي، ولا للرقي المادي، ولا للمصلحة الشخصية بل كان هدفه هداية الإنسانية عامة، وينبغي أن يكون ذلك هدف سائر المجتهدين في هذا الطريق إلى يوم القيامة، وبهذا الطريق يأتي نصر الله، ونفتح الطرق إلى الأمام.

فغاية هذا الجهد أن يحصل للمجاهدين في سبيله وأفراد الإنسانية

---

١) سورة الطلاق – الآيتان ٢ ، ٣.

الآخرين الهداية، ويسير الإنسان على جادة الدين بتوفيق الله ورحمته، وبارتفاع مستوى الجهد تتوسع هداية الله ونعمه، وعندما ينكمش هذا الجهد تنكمش الهداية، وتخرج الهداية أولا من التجارة والسلوك، وذلك بطريق العمل في التجارة والسلوك حسب عُرف الآخرين ومنهجهم وعدم رعاية آداب الدين فيها، إلى أن يخرج المسلمون كليا من الدين، وإذا بُذل الجهد على طريق الأنبياء، تدخل الهداية وتنتشر وتعم بمدى انتشار هذا النوع من الجهد وارتقائه.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): تظهر نتائج الجهد الديني بقدر الجهد، فإذا بُذل الجهد ليكون من لا يُصلي مصليا يبدو أثر هذا الجهد في شكل الصلاة، وجعل الناس يهتمون بالصلاة، إلا أنهم لا يهتمون بأمور دينية أُخرى.

وإذا بُذل الجهد للحج، ازداد عدد الحجاج، إلا أن الاهتمام بالصلاة والزكاة لا يعم.

وإذا بُذل الجهد للاهتمام بالعبادة والذكر والتلاوة، فهم يهتمون بذلك، إلا أن سلوكهم وأخلاقهم لا تكون حسب التعليمات الدينية.

ولهذا كان الشيخ محمد يوسف لا يدعو إلى الجهد الجزئي والنصفي، بل كان يؤكد على الجهد الذي يشمل جميع مجالات الحياة، وعلى اتباع أحكام الدين في سائر شعب الحياة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ

كَافَّةً﴾ (١).

وكان يقول: لم يأت بعد عهد تظهر فيه نتائج هذا الجهد الأوسع.

وقال مرة: قدر الله تعالى الهداية بقدر المجتهدين لها، فالأماكن التي قبلت هذه الدعوة كُتب لها الهداية بقدر قبولها، وبدأ الدين يهب ويزدهر، فالأماكن التي كان الناس لا يصلون بدأوا يُصلون، والأماكن التي كان الناس لا يصومون فيها بدأ بعض المسلمين يصومون، والأماكن التي كان الناس فيها لا يحجون، بدأ بعض الناس يحجون، والأماكن التي كانت تجهل تعاليم الدين، بدأت حلقات التعليم تقام فيها وانتشر نور العلم، وتبدد ظلام الجهل، ولكنها لم تنل بعد الهداية الكاملة كما يجب، مثلا رعاية أحكام الدين في كسب الرزق والأكل والشرب، والشؤون المنزلية والأمور الإدارية، والمعاملات التجارية والزراعة لا تتم، ولا يختار طريق الرسول ﷺ ولا يقتدي به، فنحن معشر المسلمين في حاجة اليوم إلى أن نرفع مستوى جهدنا ليعم تعاليم الإسلام في سائر شؤون حياتنا، وتصل هداية الإسلام إلى غير المسلمين أيضا بهذا الطريق.

- **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إن خطة الجهد الحقيقي للإيمان هي أن يوجد جو يستعد فيه كل رجل لامتثال كل ما يؤمر به، فإذا طُلب منه أن يذهب إلى منطقة، يترك جميع أشغاله ويتوجه في سبيل الله إلى حيث يؤمر به، وإذا جار رجال من الخارج إلى موطنه لتعلم الدين، يرتبط بهم

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٠٨.

ويقضي معهم وقتا، ويساعدهم في القيام بأعمالهم، ففكروا كم يختلف هذا الجهد عن الجهد الذي نحنُ فيه، فاعلموا أن الخطة الحقيقية هي هذه الخطة، واعلموا أن جهودنا هي جهود بدائية، وعلينا أن نصل إلى هذا المستوى من الجهد ونُعد أنفسنا كليا له.

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): إذا وصلت هذه التضحيات إلى كمالها، تناول تلك الأمم التي تطير في السماء ولا تنظر إلينا نحنُ البؤساء، الهداية والرشاد، والذين لا يسمعون في أي شعبة من شعب الحياة صوت الإسلام، وتقضي جميع أمورها في ضوء تعاليم الإسلام، وتنالون أجر أعمالكم بيد رسول الله ﷺ على الكوثر، حيثُ وعد الأنصار أن يلقاهم، وأن ينالون أجر أعمالهم بشفاعته، ولكن يجب أن تقرروا بأنكم ستوزعون على غيركم ما تنالونه جزاء جهدكم، وأنكم بأنفسكم لا تستفيدون منه شيئا، ولا تغنموه كما فعل رسول الله ﷺ، فإنه كان في معاناة ومشقة واحتمال الأذى مع أصحابه، ولما حان وقت جني ثمار هذه المعاناة لحق بالرفيق الأعلى، فعليكم أن يكون نظركم على الأجر في الآخرة، وعندئذٍ تتقربون إلى رسول الله ﷺ في الآخرة إن شاء الله تعالى.

• **وكتب الشيخ يوسف** (رحمه الله) في إحدى رسائله التي بعث بها إلى أحد الدعاة: إن ازدهار العالم ورقيه منوط باتباع أحكام الله، وازدهار أحكام الله ورقيها منوط ببذل النفس للإيمان، واحتمال الأذى في سبيله، وقد وهب الله تعالى بفضله وكرمه عباده الصالحين صورة امتثال تلك

الأحكام العالية، التي تزدهر فيها أحكام الله تعالى كاملة، وإن تلك النفوس مباركة وزكية وهي التي تُضحي بعواطفها ورغباتها لدى بؤس وشقاء عامة الخلق، وتؤثر رضا الله تعالى في كل حال من الأحوال.

- **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله)**: لا نهدف بعمل الدعوة والتبليغ إلى نشر أمر من الأمور، بل نسعى عن طريقه إلى إحياء كل ما جاء به النبي ﷺ وتطبيقه تدريجيا في المسلمين حسب استعدادهم، وكان أساس جميع هذه الأعمال ترويج عادة ترك الراحة، والهجرة في سبيل الله، وكلما عمت هذه العادة وراجت، نزلت سكينة الله تعالى، وعمت شآبيب رحمته على عباده.

- **وقال الشيخ مفتي زين العابدين (رحمه الله)**: كان الشيخ يوسف يعتبر عمل الدعوة أقوى عمل من أعمال النبوة.

وكان يقول: إنه عمل الأنبياء الأخص، وإن نصرة الله التي تخص بالأنبياء بهذا العمل بشرط أن يكون هذا العمل موافقاً لسنة الرسول ﷺ ومنهجه.

وكان الشيخ يطالب بتقديم أقصى التضحيات لهذا العمل، وكان يدعو إلى التقدم تدريجيا.

فكان يدعو أولا إلى تفريغ الثلث من الأوقات أي أربعة أشهر في السنة للخروج في سبيل الله، أما الشهور الثمانية فهي تصرف بالترتيب الآتي:

- نصف الوقت في المسجد والقيام بأعمال المسجد.
- والنصف الباقي للمنزل وشؤون المنزل.

ومرة قال للقدامى في الدعوة: عليكم أن تجعلوا هذا العمل رأس أعمالكم، أما الأعمال الأخرى فاجعلوها كتوابعه، فكان يرغب في أن يُصبح كل بلد ومدينة ميدان هذا العمل.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة له إلى أحد الدعاة: أيها الأخ الكريم! إن مجرد الخروج وتنقل الناس في دول مختلفة ليس المقصود، وإنما المقصود هو أن يرسخ اليقين بوعد الله ونصرته في قلوب العاملين، وأن يحدث الاشمئزاز عن غير الله، وتتصاعد العبادة واتباع الرسول ﷺ، وتزداد الحلاوة في الصلاة ويزداد العلم والاشتغال بالذكر، ويشعر الداعي بازدياد النور، ويتنور قلبه ويتربى على إكرام المسلم، ويتدرب عليه، إلى أن يعتبر كل إنسان فضلا عن المسلم خيراً من نفسه، ويسرع إلى خدمته، وأن يكون المقصود من سائر الأعمال نيل رضوان الله، وأن يجتهد لتنمية هذه الخصال، ويسعى إليها بالكد والجد، ويحتمل ما يصيب في هذا السبيل من الأذى، بل يجد فيه لذة ومتعة، وحلاوة وعذوبة، فإذا وجدت هذه الآثار للرقي في العاملين، فاعلم أن العمل يجري على ما يرام، وإلا فأيها الأخ الكريم، إن هناك من يحسن الخطبة ويجتهد أكثر منا، أما الذين يجتهدون ويضحون في سبيل الله، بل الذين ينفقون أوقاتهم في سبيل الدعوة، فعددهم قليل، إن النفوس التي تسعى إلى تحقيق هذه الأهداف النبيلة والذين تهمهم هذه الأعراض السامية فنفوس زكية مباركة، بارك الله فيها.

التزموا بالجولة المحلية مرتين في الأسبوع أو مرة في الأسبوع هي

الأقل، وإقامة حلقات التعليم والفضائل في كل قرية، وفي كل مسجد باهتمام.

- **كان الشيخ يوسف** (رحمه الله) ينتقد الاجتماعات المجردة عن الجهد فكتب يقول: عليكم أن تضرعوا إلى الله بكل خشوع وإنابة واثقين به مخلصين له، ثم تشاوروا فيما بينكم، وتجتهدوا وتسعوا إلى تنمية ونشر هذا العمل المبارك العالي اجتهادا مضنيا، وبمدى ما تسعون إليه، وتتقربون إلأى الله بدعواتكم تنزل على هذا العمل بركاته ونصرته وتأييده ورحمته التي تنزل على الجماعات، ويرتقي هذا العمل ويتقدم وتفتح له مجالات جديدة، وآفاق جديدة، وحسب قانون:" أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي (١).

عليكم أن تُحسنوا الظن بربكم، واثقين بوعده للنصر، وواصلوا جهدكم مع الذين يأتون إليكم بهمة وعزيمة، فإنه هو مصرف القلوب، وهو يحيي الحقيقة في أشكال الدين، فإن الإنسان صورة، وفاعليته حقيقة، وهو قادر على أن تظهر هذه الحقيقة في أي شكل وصورة، والذين يصبحون وسيلة لظهور هذه الحقيقة بمساعيهم المُضنية هم نفوس زكية مباركة، يجب أن يكرم بعضكم بعضا، وأن تقضوا أوقاتكم في خدمة الناس والاهتمام بحلقات التعليم، وعقد اللقاءات الشخصية والقيام بالجولات الدعوية، وأن تهتموا بصفة خاصة بتصحيح النية، لأنه هو

---

١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:...

الشرط الأول للفوز والنجاح، وبدونه تحبط الأعمال.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة بعث بها إلى ميان جي محراب: لا بد من أن يجتمع العاملون كلهم بعد صلاة الفجر، ويدرسوا وسائل لتحسين فرص العمل، ولتمكينه من أن يأتي بثمار أوفر، كما يجب أن يختار رجال للمشورة وتعرض عليهم جميع المسائل والقضايا، ويتخذ الإجراء في ضوء أرائهم، وأن يرغب الناس في الخروج إلى أماكن بعيدة في جماعات، وكل عمل يوفق له يجب أن لا يقتنع به بل يسير العاملون للرقي فيه واتساع مجاله.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة مؤكدا على الاهتمام بالمبادئ: تجب تنمية روح التواضع والعجز، وأن يقدر جهد كل شخص، وينظر إليه بنظر الاحترام والمحبة، وأن يعتبر كل شخص خادما للجميع، ويعد غيره الأصل، وإذا كان موضع الإكرام أكرم غيره، وإذا كان موضع الذلة أذل نفسه، وأن يواظب على التشاور بين الناس، وأن يقدر كل رأي، ويسعى إلى تأليف القوب وإيناسها كل سعي، وكل ما يلقى من أذى يجد لذة فيه، كذلك يجب الاهتمام بالذكر والتعليم والدعاء كل الاهتمام، وأن يوقر الصغير الكبير، ويعد نفسه للتواضع، وأن لا يحسن الظن بنفسه، بل يجب أن يكون نظره على تقصيره ويحاسب نفسه.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة أخرى مؤكداً على الاهتمام بالمبادئ: لا بد من رعاية المبادئ والأصول والاعتصام بها، والاشتغال

بالعلم والذكر والخدمة وإكرام المسلم والدعوة والدعاء والاحتراز عن ما لا يعني، والإكثار من الخشوع والتضرع إلى الله، والبكاء، ويجب بصفة خاصة التركيز على مبدأ إكرام المسلم، وإيضاحه وتعويد الناس على العمل.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة إلى الحاج فضل عظيم: كل عمل يُجدي إذا طبقت مبادئه وأصوله، فإذا خُرقت هذه المبادئ وخولفت الأصول غلب الفساد على الصلاح، وطغى عليه ومنع من الانتفاع به.

الجزء الأهم من هذه الدعوة هو الاشتغال بالعلم والذكر الذي يُعين في كسب رضا الله والقيام بالأعمال المرضية، والتقرب إلى الله، وقمع هوى النفس ورغباتها، وأهم وسيلة للحصول على هذا الهدف تأدية حقوق الجانبين والمحافظة عليها، وكذلك توقير أهل العلم من المشايخ واستشارتهم في كل عمل، وتأدية حقوقهم، وكذلك في المجال الدنيوي تأدية حقوق من أكرمهم الله بالوسائل المادية، ولهم منزلة ومكانة واستشارتهم في الأمور المادية للدعوة والجزء المهم الآخر، هو تتبع الصغار في كل مجال، سواء كان في مجال العلم، أو في مجال المال، أو في مجال القرابة، والعطف عليهم والسعي لاستمالتهم على هذا العمل بروح الأخوة والرحمة والمحبة والمراقبة على اشتغالهم بالعلم والذكر، وبهذا الطريق ينضم إلينا، ويشترك في عملنا رجال الطبقة الكادحة والمجتهدة التي تملك ثروة الإخلاص أكثر منا، ويميلون إليه باستعداد أكبر، وبدون اشتراكهم يظل هذا العمل غير دائم وسطحيا وهامشيا،

وباشتراك أو تأييد أهل العلم والذكر يدخل في هذا العمل الوزن والنـــور، ولا يدوم أي عمل ولا يرتفع، ولا يكون له تأثير على النفوس إلا بهما.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) رسالة وجهها إلى الشـــيخ عبيـــد الله البلياوي يوضح فيها طريق الدعوة في النساء: في دعوة النســـاء يجـــب الاكتفاء بأن تشتغل النساء بمطالعة الكتب(التي تشتمل علـــى الفضـــائل) وأن يقرأن منها على النساء، وأن يحافظن على العرف الإســـلامي، وأن يحاولن ترويج العرف والآداب الإســـلامية فـــي بيئـــتهن، وأن يُرســـلن أزواجهن إلى الخارج للدعوة ليعودوا إليهن متعلمـــين مـــا تعلمـــوه، ولا يسمحن لهن بالجولة الدعوية بأي حال من الأحوال.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة إلى أحد الأحباب والذي قـــد كان ترك الدعوة إلى الله بسبب المرض، فقال فيها : يا صديقي! إن هـــذا العمل نعمة جليلة من الله تعالى أنزلها الله على عباده، وإن تقدير النعمة والشكر عليها وتأدية حقها يزيد هذه النعمة بركة وسعة، والتقصير فيهـــا يحمل خطورة كبيرة، فإن أشغال الحياة والحزن والمرض مـــن طـــوارئ الحياة، وهي امتحان العبد ليعلم الله هل يقدم هذا العبد الدين لعلاقته بـــه، وتقديرا وتوقيراً لأوامره، أو يغفل عنه ويقدم أشغاله وهمومه، وســـراءه وضراءه، وينظر في الأمور برأيه ومصلحته الدنيويـــة، فمـــن الحكمـــة والكياسة أن يقدر الإنسان في تلك الحالة ذلك العمل، ومما لا شك فيه أن الإنسان يتقدم إلى الأمام بالاختلاط بالناس والامتزاج بهم.

• وكتب الشيخ يوسف (رحمه الله) في رسالة إلى والدة أحد الأحباب والذي كان عمل الدعوة يشع ويزدهر بجهوده، واستدعته والدته، فطلب الشيخ يوسف الإذن من الوالدة أن تسمح لولدها بالبقاء في مركز الدعوة، فكتب يقول: كان كل شخص مستعداً ليضحي بنفسه وماله في سبيل الدعوة، حين كان الذين يجتهدون لعمل الدعوة، ويسعون لها في عدد كبير، ويوجدون في كل منطقة، وكان لهم تأثير على النفوس، فكان يتقدم ويتسابق إلى بذل النفس والمال حتى الأطفال الصغار بشوق كبير وحماس بالغ(١)، وكانت أمهاتهم يشكرنهم على هذه التضحيات التي يقوم بها أفلاذ أكبادهن، ويعتبرنها سعادة عظيمة لأنفسهن ولأولادهن، وكان يجلب ذلك رحمة الله ونصرته للمسلمين في تلك الأيام، فتولوا مقاليد الأمور، وبسطوا نفوذهم على أنحاء العالم كله رغم ضآلة عددهم، وقلة

---

١) عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، أَنَّهُ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا ، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ : مِثْلَهَا قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ ؟، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟، قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ : كِلَاكُمَا قَتَلَهُ "، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ(صحيح مسلم» كِتَاب الْجِهَاد وَالسِّيَر» بَاب اسْتِحْقَاق الْقَاتِلِ سَلَبَ الْقَتِيلِ رقم الحديث: ٣٣٠٢).

بضاعتهم، وهم حين رفضوا الدنيا ورغبوا عنها، خضعت لهم الدنيا وارتمت على أقدامهم، وكانوا قد خرجوا بزمام الإبل، وعادوا وبأيديهم زمام العالم كله.

وبالجملة إن هؤلاء الأشخاص هم الذين كانوا قد انقطعوا إلى الدعوة وضربوا بحوائجهم عُرض الحائط، ولم يدخروا وسعا في نشر تعاليم الإسلام وتبليغ رسالته السمحاء.

ولما بذل الأنصار في المدينة جهوداً مُضْنية، وتركوا أهلهم وهجروا راحتهم ونفضوا أيديهم لما كانوا فيه من عمل وشغل، وقاموا بجولات دعوية واسعة وكسدت تجارتهم، وجفت بساتينهم لبعدهم عن بلادهم، واشتغالهم بعمل الدعوة وعكوفهم عليها، فاستأذنوا رسول الله ﷺ لأسابيع يقضونها في أماكنهم لتلافي ما خسروه في تجارتهم وبساتينهم وإصلاح أحوالهم المادية نزلت الآية:﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١)(٢).

---

١) سورة البقرة _ الآية ١٩٥ .

٢) عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: حَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى صَفِّ الْعَدُوِّ حَتَّى خَرَقَهُ، وَمَعَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ نَاسٌ: أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا، صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدْنَا مَعَهُ الْمَشَاهِدَ وَنَصَرْنَاهُ، فَلَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ، اجْتَمَعْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ نَجِيًّا، فَقُلْنَا: قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَصْرِهِ، حَتَّى فَشَا الْإِسْلَامُ وَكَثُرَ أَهْلُهُ، وَكُنَّا قَدْ آثَرْنَاهُ عَلَى الْأَهْلِينَ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَقَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، فَنَرْجِعُ إِلَى أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا فَنُقِيمُ فِيهِمَا. فَنَزَلَ فِينَا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ [فِي] الْإِقَامَةَ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَتَرْكَ الْجِهَادِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَعَبْدُ بْنُ

سيدتي الكريمة: إن الواقع يقول مادام المسلمون مشتغلين بعمل الدعوة إلى الله، ومتشبثين بها غشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة والبركة، وجعلهم الله سبحانه وتعالى سادة العالم وسلاطينه، وحينما قدم المسلمون حوائجهم وصرفوا عنايتهم إلى أنفسهم، وآثروا مصالحهم المادية على مصالح الدين والدعوة، حُرموا نُصرة الله، وخسروا تأييده، وفقدوا كل ما آتاهم الله سبحانه وتعالى من الخير والبركة، والنفوذ والسلطة، والقوة والهيمنة، وانهالت عليهم المصائب والآلام، وأحاطت بهم المحن والبلايا من كل جانب، ففي هذه الظروف القائمة العابسة يشتغل عدد قليل من الناس بعمل الدعوة إلى الله، ولم يزل مركز الدعوة والتبليغ بـ ((نظام الدين)) يعاني من قلة عدد هؤلاء العاملين، ففي هذه الأيام التي هي أشد حاجة إلى الأشخاص الذين يعتنون بعمل الدعوة، تطلبين ابنك، فأرجو منك في هذه الظروف التي تحتاج فيها هذه الدعوة

حُمَيْدٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ الْحَاكِمُ: عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ: كُنَّا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ؛ وَعَلَى أَهْلِ الشَّامِ رَجُلٌ، يُرِيدُ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ صَفٌّ عَظِيمٌ مِنَ الرُّومِ ، فَصَفَفْنَا لَهُمْ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَصَاحَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَتَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى غَيْرِ التَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّا لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ قُلْنَا فِيمَا بَيْنَنَا: لَوْ أَقَبْلْنَا عَلَى أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَاهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ(تفسير القرآن العظيم» تفسير سورة البقرة).

إلى العاملين أن تسمحي له بالقيام بمركز الدعوة في ((نظام الدين))، والاشتغال بعمل الدعوة، وإذا كنت تصرين على طلبك على الرغم من ذلك فابعثي إليَّ ببرقية على الفور، سأرسله لطلبك، واستجابة لرغبتك.

رسالة عزاء إلى ابنها بعد وفاتها من الشيخ يوسف(رحمه الله): فجعت بحادث وفاة والدتك الكريمة، وكل ما يُصيب المسلم من البلايا والمحن يؤدي إلى رفع درجاته عند الله سبحانه وتعالى، ووعد الله بالأجر الكبير والمثوبة العظيمة على الصبر عند الصدمة الأولى.. فمن وافته المنية ينظر الهدايا التي يرسلها إليه من كان له صلة به في صورة الأجر والثواب.

صديقي الحبيب: إن أعمال النبي ﷺ التي تتحدث عنها هنا هي للترغيب والتشويق، ولكن هذه الأعمال الصادرة عن النبي ﷺ سيشاهدها من وصل إلى جوار ربه عن كثب، إن عملا من أعمال الدين مهما كان يسيرا وبسيطا ينفع المتوفي ويدر له خيرا، وإذا أكثرنا من أعمال البر فتملأ هذه الأعمال الصالحة التي نقوم بها نحنُ، قلبه سرورا وبهجة، وقبره نورا وضياءً ، وموازينه براً ومعروفاً.

ومن ناحية أخرى تنقطع صلتنا عنه وتنصرف إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الحي الذي لا يموت، فأرجو منك أن توجه عنايتك إلى أمور الدعوة بكل حماس ونشاط، وينبغي لك في هذه المناسبة الكئيبة أن تلفت نظراً إلى عمل الدعوة.

- **وبين الشيخ يوسف (رحمه الله)** بيانا فقال فيه: الحركة للدين تصون من

الفتن: ففي زمن النبي ﷺ أراد المنافقون إحداث الفرقة بين المسلمين وذلك في غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِق مِنْ خُزَاعَةَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَيْنَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ، وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ. يَقُودُ فَرَسَهُ، فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ، وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، عَلَى الْمَاءِ، فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ. وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ. فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ، وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ، فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ؛ غُلَامٌ حَدَثٌ، فَقَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا ؟ قَدْ نَافَرُونَا، وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعُدُّنَا وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ هَذِهِ، إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ. أَمَا وَاللَّهِ، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ؛ أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ؛ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَدُوِّهِ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : مُرْ بِهِ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَكَيْفَ يَا عُمَرُ، إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا ، وَلَكِنْ أَذِّنْ بِالرَّحِيلِ " وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ بَلَّغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ : مَا قُلْتُ مَا قَالَ ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ . وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ ، وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ . حَدَبًا عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَدَفْعًا عَنْهُ . فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ ، لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ رُحْتَ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ ، مَا كُنْتَ تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَوَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ ". قَالَ: أَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ". قَالَ: وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : " زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ". قَالَ: فَأَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ، هُوَ وَاللَّهِ الذَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْفُقْ بِهِ، فَوَ اللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لِيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيُتَوِّجُوهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدِ اسْتَلَبْتَهُ مُلْكًا. ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى، وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ، وَصَدْرَ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى آذَتْهُمُ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ ، فَوَقَعُوا نِيَامًا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ

لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ؛ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ، وَسَلَكَ الْحِجَازَ، حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ بِالْحِجَازِ فُوَيْقَ النَّقِيعِ، يُقَالُ لَهُ: بَقْعَاءُ. فَلَمَّا رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَبَّتْ عَلَى النَّاسِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَآذَتْهُمْ وَتَخَوَّفُوهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَخَوَّفُوهَا؛ فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ ". فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، أَحَدَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، – وَكَانَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ يَهُودَ، وَكَهْفًا لِلْمُنَافِقِينَ – مَاتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ، مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ نَحْوَ هَذِهِ الْقِصَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الَّذِي مَاتَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، قَالَ: هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَقَالَ: " هَذِهِ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ". فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، إِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله)**: إذا أردنا أن نُحطم القوى الباطلة، ونكافح الأفكار الزائفة، ونصهر حياتنا في بوتقة الإسلام، ونصبغها بصبغته الأصلية، علينا أن نخترق الحواجز المادية، ونزيل العوائق المزعومة ونتقدم لتوسيع آفاق العمل، ونعد أنفسنا لبذل مزيد من المال والوقت في سبيل الدعوة، ونخصص نصف الدخل لعمل الدعوة، والنصف الثاني نصرفه في التجارة وأمور المنزل، وكذلك نوزع الوقت على أمور

الدعوة وأمور المنزل على السواء، أو نفرغ ثلث الوقت والمال لعمل الدعوة على الأقل.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله) مبيناً أسلوب الدعوة:** نذكر أحداث النصرة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على الأنبياء في سبيل الدعوة، ولا نذكر النصرة التي جربناها بأنفسنا خلال هذا العمل، ولا نتحدث في البيان عن الجو والوضع، ومن الأفضل أن نلفت انتباه الحاضرين إلى الأعمال التي تقربهم إلى الله، ويتوقف عليها النجاح والسعادة بدلا من أن نذكر ما اعتراهم من ضعف في الإيمان والعمل والخلق.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله) مبيناً أهمية الجولة:** إن عمل التجوال في سبيل الدعوة هو بمثابة العمود الفقري فيها، فإذا صح هذا العمل قبلت الدعوة، وحينما تقبل الدعوة يقبل الدعاء، وبالتالي تأتي الهداية.

أما استنكار الجولة أو رفضها فإنه بمثابة رفض الدعوة والانحراف عن منهجها، ويسفر ذلك عن عدم قبول الدعاء، وبدون قبول الدعوات لا تأتي الهداية من الله سبحانه وتعالى.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله):** لو أن الجولة العمومية أقيمت بالآداب والأصول، لفتحت أبواب الهداية في العالم كله، وإن أقيمت علي خلاف الآداب والأصول تصبح فتنة .. فنراعي الآداب.

• **وقال الشيخ يوسف (رحمه الله) مبيناً الكلام في الجولة:** إن الموضوع الذي يجب أن يدور حوله الحديث في الجولة أن نقول لمن نخاطبه: إن نجاحنا

في الدنيا والآخرة منوط باتباع النبي ﷺ ومرتبط به، وإن جميع المشاكل والقضايا التي نتعرض لها يتنحل باختيار منهج النبي ﷺ، ولكن ذلك يتطلب منا جهدا بالغا، ولدعوة الناس إلى بذل هذا الجهود ينبغي لنا أن نجمع أهل القرية في المسجد للجولة، ونطلب من الناس الجلوس بعد الصلاة قليلا، ومن الأفضل أن يعلن ذلك رجل له نفوذ في القرية.

• **وقال الشيخ يوسف** (رحمه الله): في عمل الدعوة في أوساط النساء خطر كبير لاحتمال سفورهن، فيمنع النساء عن الحضور في الاجتماعات العامة، ولا يسمح لهن إلا بالاجتماع في بيت من البيوت المجاورة للتعليم في يوم من الأيام.

كتاب حياة الصحابة

وثناء العلماء عليه

لقد قام الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى بتصنيف كتاب(حياة الصحابة) وقد قام بتأليفه بأمر والده (الشيخ محمد إلياس) حيث طلب منه جمع أساليب تربية الرسول لأصحابه – رضى الله عنهم – في مجال الدعوة والتبليغ مع جميع أحوال الصحابة – رضى الله عنهم – وأعمالهم وأقوالهم ومشاعرهم ومواقفهم في مجال نشر الدعوة الإسلامية وبذل الجهود وتحمل المشاق في سبيلها في موسوعة واحدة تنفرد بجمع وتنسيق موضوعي بأسلوب علمي يكون قوامها مستندا على ما جاء في أمهات الكتب الإسلامية المتفق عليها والمعترف بها لدى جميع علماء الأمة، حتى يكون هذا السفر الجليل مرشدا إلى منهج النبي ﷺ في تربية أصحابه، وينير الطريق للقائمين بأعمال الدعوة والتبليغ، في كيفية تمسك الصحابة بهذا المنهج العظيم واستخدامه الحكيم في تربية البشرية وإرشادها إلى سواء السبيل.

وكتب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (في تصدير كتاب حياة الصحابة): فإن السيرة النبوية وسير الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان، وتشتعل بها مجامر القلوب، التي يسرع انطفاؤها

وخمودها في مهب الرياح والعواصف المادية، والتي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها.

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها وصدقتها قلوبهم، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ (١)، ووضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينها إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب، والحب لله والرسول، والرحمة على المؤمنين والشدة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل، والغيب على الشهود، والهداية على الجباية، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحُطامها، والشوق إلى لقاء الله، والحنين إلى الجنة، وعُلو الهمة، وبُعد النظر في نشر رِفد الإسلام وخيراته في العالم، وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، وسهولها وحزونها وأغوارها وأنجادها، ونسوا في ذلك لذَّتهم، وهجروا راحاتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مُهَجَهم وحرّ أموالهم، حتى ألقى الدين بجرانه، وأقبلت القلوب إلى الله، وهبَّت ريح الإيمان قوية

---

١) سورة آل عمران _ الآية ١٩٣ .

عاصفة، طيبة مباركة، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى، ونفقت سوق الجنة، وانتشرت الهداية في العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

ضمت وقائعهم كتب التاريخ، وحفظت أخبارهم دواوين الإسلام، وكانت دائما مادة التجديد والبعث الجديد في حياة المسلمين، ولذلك اشتدت عناية دعاة الإسلام والمصلحين بهذه الحكايات، واستعانوا بها في إيقاظ همم المسلمين وإلهاب قلوبهم بجذوة الإيمان والحماسة الدينية.

ولكن أتى على المسلمين حين من الدهر زهدوا فيه(في هذا التاريخ) وتناسوه، وانصرف كُتابهم ومؤلفوهم ووعاظهم ودعاتهم عنه إلى أخبار الوهاد والمشايخ والأولياء المتأخرين، وطفحت الكتب والمجاميع بحكاياتهم وكراماتهم وأولع الناسُ بها ولعا شديدا، وشغلت مجالس الوعظ وحلقات الدروس وصفحات الكتب.

وكان من أول من انتبه _ على ما نعرف _ في هذا العصر إلى فضل أخبار الصحابة وأحوالهم في الدعوة الإسلامية والتربية الدينية، وإلى قيمة هذه الثروة_ المطمورة في الأوراق _ الإصلاحية والتربوية، وتأثيرها في القلوب، وكان من أول من أقبل عليها وعُني بها وأنصف لها المصلح الكبير والداعية المشهور الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله) /م ١٣٦٣ هـ، فقد عكف عليها مطالعةً ومدارسةً وحكايةً وتذكيراً، رأيتُ له شغفاً عظيما بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة (رضي الله عنهم) يتذاكرها مع تلاميذه وأصحابه، وتُقرأُ عليه كل ليلة، فيسمعها في رغبةٍ

ونهامةٍ وإجلال، ويحب إحياءها ونشرها ومذاكرتها، وكان ابن أخيه المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي صاحب ((أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (١))) ألف كتابا متوسطا في ((أردو)) في أخبار الصحابة رضي الله عنهم سماه ((حكايات الصحابة)) وسُر به الشيخ سرورا عظيما، وألزم المشتغلين بالدعوة والرحلات في سبيلها مطالعة هذا الكتاب ومدارسته، وكان _ ولا يزال _ من أهم الكتب المقررة للدعاة والمتطوعين، ومن الكتب التي نالت قبولا عظيما ورواجا كبيرا في الأوساط الدينية.

وورث الشيخ محمد يوسف والده العظيم الشيخ محمد إلياس ، ورثه في حمل أعباء الدعوة وأمانتها، وورثه في ذوقه واتجاهه في الشغف بالسيرة وأحوال الصحابة، وكان هو الذي يقرأُ له هذه الحكايات والدروس من السيرة وتراجم الصحابة في حياته، وأكب بعد وفاته _ مع الاشتغال الشديد بالدعوة _ على مطالعة كتب السيرة والتاريخ وطبقات الصحابة ولا نعرف _ فيمن نعرف _ أوسع نظرا في أخبارهم، ودقائق أحوالهم، وأكثر استحضارا لها، وأحسن استشهادا بها، وأجمل اقتباسا منها، وأكثر إيرادا لها في الحديث والمحاضراتٍ منه، وتكاد تكون هذه الحكايات التاريخية والقصص الحق مصدر قوة كلامه وتأثيره وسر سحره ووقعه في القلوب، وحمل الجماعات الكبيرة بين التضحية والايثار والاستهانة بالمتاعب والمصاعب، وتكبد المشاق في سبيل الله.

---

١) والذي طبع في الهند في ستة أجزاء .

لقد بلغت الدعوة في عهده إلى الأقطار العربية، وإلى أمريكا وأوربا، واليابان وجزر المحيط الهندي، ومست الحاجة إلى كتاب كبير يطالعه المشتغلون بالدعوة، والخارجون في الرحلات، ويدارسونه ويغذونه قلوبهم وعقولهم، ويلهبون به عواطفهم الدينية ويكون حافزا لهم على تقليدهم وبذل نفسهم ونفيسهم في سبيل الدعوة، والتجول في العالم والهجرة والنصرة، وفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، وإذا قرأوا هذه الأخبار تضاءلت نفوسهم أمامها كما تتضاءل السواقي أمام البحار، وطوالُ الرجال أمام الجبال الشُمَّ، فاتهموا يقينهم واستصغروا أعمالهم، واحتقروا حياتهم، وارتفعت هممهم، وطمحت نفوسهم، وتحركت عزائمهم.

وأراد الله أن يكون للشيخ محمد يوسف فضل التأليف في هذا الموضوع الجليل مع فضل الدعوة إليه، مع أن حياته المشغولة التنقلة المزدحمة بالرحلات والضيوف والوفود والدروس أبعدُ شيء من حياة التأليف والكتابة، ولكنه استطاع بتوفيق الله تعالى وعونه، ثم بعلو همته وقوة عزيمته أن يشتغل بالتأليف، ويجمع بين الدعوة والكتابة _ وما أصعب الجمع بينهما _ وقد استطاع بحول الله وقوته أن يشتغل بشرح معاني الآثار للإمام الطحاوي فألف كتاب (أماني الأحبار) في مجلدات كبار ، واستطاع بحول الله وقوته أن يؤلف كتاب ((حياة الصحابة)) في ثلاث مجلدات ضخام، يجمع فيه ما انتثر وتفرق في كتب السير ، والتاريخ والطبقات، ويبدأ بأخبار الرسول الأعظم ﷺ، ويثني بقصص الصحابة _

رضي الله عنهم _ ويُعني بجوانب تَخْصُ الدعوة والتربية، وتهم الدعاة وزاد العاملين، ومدرسة الإيمان واليقين لعامة المسلمين.

وقد جمع هذا الكتاب من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم وقصصهم، وحكاياتهم ما يندر وجوده في كتاب واحد، لأنه اقتبس من كتب كثيرة ككتب الحديث والمسانيد وكتب التاريخ وكتب الطبقات، لذلك جاء هذا الكتابٍ يصور ذلك العصر ويمثل حياة الصحابة رضي الله عنهم، وخصائصهم وأخلاقهم وخواطرهم، وقد أسبغت هذه الدقة، وهذا الاستقصاء والاكثار من الروايات والقصص عل الكتاب تأثيرا لا يكون للكتب التي بُنيت على الإجمال والاختصار ومغوى القصة، ويعيش القارئ، لأجله في محيط الإيمان والدعوة، والبطولة والفضيلة، والإخلاص والزهد.

وإذا صح فإن الكتاب صورة نفسية للمؤلف وقطعة من قلبه، وأنه يؤثر بقدر ما يكتبه المؤلف عن عقيدة واقتناع، وتأثر وانطباع، وبقدر ما يعيش في مادته ومعناه، إذا صح هذا فأنا أؤكد أن الكتاب مؤثر وناجح، لأن المؤلف قد كتبه عن عقيدة وحماسة، ولذة وعاطفة، وقد خالط حب الصحابة لحمه ودمه، واستولى على مشاعره وتفكيره، وقد عاش في أخبارهم وأحاديثهم زمنا طويلا، ولا يزال يعيش فيها، ويستقي من منابعها، فسح الله في مدته، وبارك في حياته.

لم يكن هذا الكتاب في حاجة إلى تصدير مثلي لجلالة مؤلفه وإخلاصه، فإنه _ على ما أعتقد وأعرف _ موهبة إلهية وحسنة من حسنات الزمان

في قوة الإيمان، وقوة الدعوة والانقطاع إليها والتفاني في سبيلها، لا يوجد أمثاله إلا بعد فترات طويلة، وهو يقود حركة دينية، من أقوى الحركات وأوسعها وأعظمها تأثيرا في النفوس، ولكنه أراد أن يكرمني بذلك، وأردتُ أن يكون لي نصيب في هذا العمل الجليل، فكتبت هذه الكلمة متقربا بها إلى الله، تقبل الله هذا الكتاب ونفع به عباده.

أبو الحسن على الحسني الندوي

سهارنبور

٢ رجب / ١٣٧٨ هـ

وكتب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (١) (في تقديمه الممتع لكتاب حياة الصحابة): إن كتاب حياة الصحابة الذي بين يديك أيها القارئ

(١) هو أبو الفتوح وأبو زاهد عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبو غدة الخالدي الحلبي. ولد في مدينة حلب شمال سورية في السابع عشر من رجب من سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م في بيت ستر ودين فقد كان والده محمد رجلاً مشهوراً بين معارفه بالتقوى وكان يعمل في تجارة المنسوجات.

نشأته العلمية: دخل المدرسة العربية الإسلامية الخاصة ودرس فيه من الصف الأول حتى الرابع، تعلم فيها ما محا عنه الأمية. دخل مدرسة الشيخ محمد علي الخطيب بحلب ودرس فيها القرآن الكريم وتعلم حسن الخط. دخل المدرسة الخُسروية التي بناها خسرو باشا، التي تعرف الآن بالثانوية الشرعية وذلك عندما بلغ التاسعة عشرة من عمره واستمر فيه من عام ١٣٥٦ هـ =١٩٣٦ م حتى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م ثم كلية الشريعة بالجامع الأزهر الشريف وتخرج منها في عام ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٨م حائزاً على الشهادة العالمية من كلية الشريعة. درس في (تخصص أصول التدريس) في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر أيضاً وتخرج منه في عام ١٣٧٠ هـ/١٩٥٠م وبعد ذلك عاد إلى موطنه حلب.

الكريم من خير الكتب التي ألفت في القرن الرابع عشر للهجرة، وهو أوحدها وأفضلها في موضوعه وبابه، وقد نفع الله به ألوف الألوف من الناس عربا وعجما، علماء ومتعلمين، ودعاة ومدعوين، شرقا وغربا.

فأنار الله به قلوبا كانت قاتمة، وهدى به نفوسا كانت في الجهل هائمة، أمتع به مجالس الخير والوعظ والإرشاد والتذكير، ووصل به أهل العصر من قارئيه وسامعيه بسيرة خير القرون المباركة: قرن الرسول

بعد أن أكمل الشيخ دراسته في مصر، عاد إلى سورية وتقدم سنة ١٩٥١ لمسابقة اختيار مدرسي التربية الإسلامية لدى وزارة المعارف فكان الناجح الأول. درّس أحد عشر عاماً مادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب، كما شارك في تأليف الكتب المدرسية المقررة لهذه المادة. درّس إلى جانب ذلك في (المدرسة الشعبانية) وهي معهد شرعي أهلي متخصص بتخريج الأئمة والخطباء، ودرّس في الثانوية الشرعية (الخسروية) التي تخرج فيها، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة في جامعة دمشق، ودرس فيها لمدة ثلاث سنوات (أصول الفقه)، و(الفقه الحنفي) و(الفقه المقارن بين المذاهب). وقام بعد ذلك بإدارة موسوعة (الفقه الإسلامي) في كلية الشريعة بدمشق لنحو عامين، أتم خلالها كتاب (معجم فقه المحلى لابن حزم) وكان قد سبقه للعمل فيه بعض الزملاء فأتمه، وأنهى خدمته، وطبعته جامعة دمشق في ضمن مطبوعاتها في مجلدين كبيرين.

انتقل إلى المملكة العربية السعودية، متعاقداً مع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض حيث عمل مدرساً فيها، وفي المعهد العالي للقضاء، وأستاذاً لطلبة الدراسات العليا، ومشرفاً على الرسائل العلمية العالية، فتخرج به الكثير من الأساتذة والعلماء. وقد شارك خلال هذه الفترة (١٣٨٥ - ١٤٠٨ هـ) (١٩٦٥ -١٩٨٨) في وضع خطط جامعة الإمام محمد بن سعود ومناهجها، واختير عضواً في المجلس العلمي فيها، ولقي من إدارة الجامعة كل تكريم وتقدير.

انتدب الشيخ أستاذاً زائراً لجامعة أم درمان الإسلامية في السودان ولمعاهد الهند وجامعاتها، وشارك في الكثير من الندوات والمؤتمرات الإسلامية العلمية، التي تعقد على مستوى العالم الإسلامي. وكانت له جهود طيبة في جميع هذه المجالات. ثم عاد للعمل مع جامعة الملك سعود في الرياض وقبلها مع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض كذلك.

ﷺ، وقرن أصحابه (رضي الله عنهم) وقرن تابعيهم بإحسان _أكرمهم الله وتقبل منهم _، فكان هاديا ومحدثا، ومعلما ومؤانسا، ورفيقا مهذبا، وراقيا ومطببا، وكتب الله تعالى له القبول عند الخاص والعام ، وتلقاه الناس تلقي الأرض العطشى للغمام .

وفي ذلك لله تعالى سر خفي عجيب، فقد أسس فكرة تدوينه وتصنيفه، ونشره وتأليفه، عالم صالح عابد جليل، وداعية مخلص تقي متواضع نبيل، وهو الشيخ الكريم المفضال، والواعظ المرشد الأمين نادر المثال، العلامة المحدث محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله)، مجدد جماعة التبليغ وأميرها، ومخطط سيرها ومديرها فرحمات الله عليه ورضوانه العظيم.

ولما قام هذا الحبر الإمام بالدعوة إلى الله تعالى في قلب بلاد الهند الواسعة الشاسعة، استجابت له قلوب وقلوب، ورجعت بدعوته الإيمانية ألوف وألوف، إلى ساحة دينها والعبادة الخالصة لربها، والخلوص من الجهالات والمنكرات والمكفرات، إلى الدخول في أداء الفرائض والواجبات والمستحبات، ونهض الكثير من هؤلاء الصالحين على قدم العبادة والزهادة، ونشر وتفهيم معنى كلمتي الشهادة، فارتفعت في كل جانب بيوت لله من المساجد، وكثر فيها الذاكر الله والراكع والساجد، وقل في الناس السارق والفاسق، والجاهل بتوحيد الله الخالق، وكان الشيخ محمد الياس (رحمه الله) توسم بنور بصيرته أن تنتشر الدعوة الإسلامية من

طريق هذه الجماعة المؤمنة في بلاد الله الواسعة، فتشمل جل بلاد الهند وتجاوزها إلى جوارها وتشرق وتغرب إلى أقاصي البلدان كأمريكا والصين واليابان، وبلاد العرب وغيرها، وكان يذكر ذلك ويرجوه من الله تعالى رجاء المؤمن المطمئن بفضل الله وإمداده، فكانت همته في هذه الدعوة ورجاء اتساعها بسعة بقاع الدنيا وأرجائها.

وكان (رحمه الله) إلى جانب هذه الهمة الشماء، والنظرة الواسعة الفسيحة العلياء، صغير القامة، نحيف الجسم، رشيق الظل، تستصغر قامته في عين الجاهل، ليس بالجسيم الهائل، ولا بالطويل المتكامل، ولكن همته همة الملوك الصالحين الأقوياء، والعلماء الكبار العاملين.

وانتقل إلى جوار الله تعالى، ولم يتحقق شيء من رجائه في مجاوزة الدعوة لبلاد الهند، فلما قام خلفه الصالح، ونجله العالم الفالح، والداعية الموهوب، والآخذ وعظه وكلامه ونصحه بالألباب والقلوب، المحدث العلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى(رحمه الله) بتخليف والده له قبيل وفاته، رحمهما الله تعالى، هبت رياح العزائم الإيمانية للمخلوقين الأطهار الأخيار، فاتسعت رقعة انتشارها، وخرجت عن موطن نباتها وازدهارها، فدخلت بلاد العرب، ثم شرقت وغربت وشملت وجنبت، وبلَغت وبُلِّغت أمريكيا وروسيا والصين واليابان وغيرها من البلدان، على أيدي أناس ليسوا من كبار العلماء أو المفكرين أو الأدباء أو الزعماء المتميزين، بل إنما نشرها أناس من وسط القوم وبعض الضعفة المخلصين، وآثروها على مصالحهم، فتركوا أعمالهم وأهليهم وأولادهم

وأموالهم، فخرجوا في سبيل الله، يدعون من يلقون إلى العبادة والطاعة، والتمسك بالسنة والجماعة، والمحافظة على الصلاة مع الجماعة ، وتكرار الأذكار المشروعة في كل حركة وسكون، وعند كل سفر وقفول، حتى إذا عاشرتهم تبدلت أخلاقك الجافة اليابسة، أو الغافلة المفلسة، إلى أخلاق أهل الصلاح والذكر والتقوى، والحفاظ على النوافل والمستحبات، وذلك هو السحر الحلال :

ما الكيميا قلب الحجارة فضة بل أن تزيل الظلمةَ الأنوارُ

قام الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) في فترة إمارته للجماعة بتأليف هذا الكتاب العظيم ، فألفه بحبه وقلبه ولبه حتى خرج كتاباً فريدا في موضوعه ، وأولا مقدما في بابه ، وكان تأليفه له عجبا من العجب : كان يؤلفه في الحضر والسفر وفي الليل والنهار وينتهز الساعات القصيرة ويغتنمها فيستفيد منها ، ويقتطع من أوقات نومه وراحته وطعامه وشرابه ويشتغل فيه، حتى أخرجه بهذه العناية الفائقة والجمع الشامل الحاشد المنظم المبوب، فما ترك شاذة ولا فاذة، صغيرة أو كبيرة من حياة الصحابة، إلا ذكرها وأدخلها في بابها، فصار الكتاب بحر السيرة العطرة لخير القرون الثلاثة الخيرية.. إلى أن قال رحمه الله: ورحم الله تعالى مؤلفه العلامة المحدث الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى (رحمه الله)، فقد هدي إلى تأليف هذا الكتاب على طريقة الجمع والانتخاب للأخبار من مصادرها، ثم نسقها وبوبها ورتبها وهذبها، حتى جاء الكتاب عذبا

سلسبيلا صافيا، وعسلا خالصا شافيا، ولم يدخل نفسه بين الكتاب وقارئه بشرح أو كلام له، وإنما اكتفى بإيراد الأحاديث والأخبار والحكايات والآثار، تحت عناوين جامعة لها ؛ لأنها ناطقة معلمة بذاتها، تلج القلوب وتغذي العقول بحسن سماتها، فاتبع طريقة القصص القرآني في الأمر والنهي، والتحبيب والتنفير، فوفق غاية التوفيق ؛ لأن الإنسان ينفر غالبا من مواجهته بالأمر والنهي، أما إذا خوطب عن طريق الإخبار والحكاية عن غيره سمع وانتبه وتقبل وامتثل، ونشط وأحب أن يكون كمثل الذي اتصف بالخير وتنزه عن الشر، وكان ذلك أطيب على القلب والفكر من الأمر والنهي الصريح المباشر.

وقد حسن القرآن هذه الطريقة وقررها فقال:﴿ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ (١) قال الإمام الجنيد (رحمه الله): الحكايات جند من جنود الله تعالى ، يثبت الله بها قلوب أوليائه ، فقيل له : هل لهذا شاهد؟ قال : شاهده قوله تعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال الإمام أبو حنيفة (رحمه الله): الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها من آداب القوم وأخلاقهم ، وشاهده قوله تعالى :﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .
(٢) سورة هود – الآية ١٢٠ .

أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾(١)، وقوله سبحانه :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢)وقال محمد بن يونس (رحمه الله) : ما رأيت أنفع للقلب من ذكر الصالحين.

وهذا الكتاب معدن أخبار الصالحين والمصلحين والعاملين والمجاهدين من الصحابة وأتباعهم وتابعي التابعين، فلذلك غدا بلسما للقلوب والأرواح ، وشافيا من الكسل والفتور والانفلات، وحافزا إلى العبادة والجد والأدب والطاعات ... الخ.

ما قاله الأستاذ الدكتور / محمد بكر إسماعيل أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر عن { أهل الدعوة والتبليغ} في مقدمة كتاب (حياة الصحابة رضى الله عنهم) للعلامة المحدث محمد يوسف الكاندهلوى والذى قام بالتعليق عليه صـ ٧ : وكتاب حياة الصحابة الذى نقدمه لحملة العلم وطلابه ومحبيه في هذه الطبعة المحققة واحد من هذه الكتب التي حفلت بكثير من سير أصحاب النبي ﷺ ومن لقيهم من التابعين أو عاصرهم فقد جمع فيه المؤلف صورا من حياتهم ونبذا من أخلاقهم، وتحفا من مكارمهم، وجملا من حكمهم ونصائحهم لتكون نبراسا ينير الطريق لكل من أراد أن يدعو إلى الله على بصيرة من أمره، ولكل من

(١) سورة الأنعام – الآية ٩٠ .
(٢) سورة هود – الآية ١٢٠ .

أراد أن يسلك طريق العارفين بربهم على بينة تجعله دائما مستمسكا بدينه متسلحا بيقينه، كلما اعترته شبهة نظر في حياة الصحابة فصحح النية وأصلح الطوية وعاد إلى رشده كأحسن مما كان.

ولقد عرف الشيخ الجليل – مؤلف هذا الكتاب – أن أسلم طريق وأمثل طريقة إلى الدعوة أن يلتزم الدعاة ومن في حكمهم منهج أصحاب النبي ﷺ في أقوالهم وأفعالهم، ووسيلتهم في نشر الإسلام وطريقتهم فى عرضه وتحملهم في سبيل الله من المشقة والجهد، وبذلهم في هداية الخلق مهجهم وأموالهم رغبة في رضوان الله تعالى أولا وطمعا في جنة عرضها السماوات والأرض ثانيا.

عرف الشيخ التقي الورع ذلك فعكف على دراسة سيرتهم على يد والده الشيخ الداعية محمد إلياس بن محمد إسماعيل فوقف على الكثير من مآثرهم فأراد أن يجمع منها ما تشتد الحاجة إليه فجمع هذا الكتاب ورتبه على تسعة عشر بابا وصدره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

واكتفى بالجمع ولم يضف إليه شيئا من عنده ولعله رأى أن ما نقله عنهم غنى عن التحليل والتعليل، وأن القارئ يستطيع بنفسه أن يأخذ من سيرتهم هذه ما شاء لما شاء وكيف شاء، وما عليه إلا أن يقرأ هذا الكتاب بشغف وحب للعلم بوجه عام، ولسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بوجه خاص وأن يعزم عزما مؤكدا على العمل بما يعلم إذ لا خير في علم بلا عمل.

وهذا الكتاب الذى نقدمه إليك أيها القارئ الكريم قد أراد به مؤلفه – رحمه الله تعالى – أن يكون بين يدى كل مسلم يحب الله ورسوله حبا مصحوبا ببرهانه، الطاعة والامتثال قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

وهو إمام من أئمة الدعوة بعد أبيه، تولى أمرها بعلمه وتقواه وقدرته على نشرها بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالوراثة كما يفعل كثير من الصوفية ، فنهض بها وجد في نشرها لا في الهند وحدها ولكن في كثير من بلاد المسلمين وغير المسلمين .

أعانه في ذلك جماعة مختارة من كبار علماء الهند يجوبون الأقطار معلمين ودعاة مرشدين بأفعالهم وأقوالهم انتهى.

وقال رحمه الله في صـ ٩، ١٠ : عُرفت هذه الجماعة باسم أهل الدعوة والتبليغ وهو اسم طابق مسماه فإن أهل الدعوة والتبليغ يقومون بأمرين أساسيين :

الأول: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية وهدايتهم إلى الإسلام بالحجة البالغة والسماحة التي اكتسبوها من سيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومَرنوا عليها بكثرة المجاهدة والذكر.

الثاني: دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة أولا بوصفها عماد الدين ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا ما صلوا خشعت قلوبهم ولانت

(١) سورة آل عمران – الآية ٣١ .

جلودهم لذكر الله وانكسرت شهواتهم، وضعف ميولهم إلى المعاصي فكفوا عنها بسهولة ويسر، وسهُل عليهم أن يستجيبوا لله في سائر ما أمر به ونهى عنه، ثم يخرجون بهم فى سبيل الله أياما ليروا صورة من صور الإيمان الصادق والإخلاص الكامل والحب الغامر والإشراق الساطع من خلال قراءة القرآن والذكر المتواصل بالليل والنهار وليتعلموا كيف يكونوا قوما صالحين ودعة مرشدين.

ثم قال رحمه الله أيضا في موضع آخر : لقد عرفتهم عن قرب وخرجت معهم فما رأيت منهم ما يخالف كتابا ولا سنة بل لقد تعلمت منهم ما لم أكن أجده إلا عندهم .

فهم قوم يكثرون من قراءة القرآن والذكر المشروع، ويقيمون الصلاة في المساجد، ولا تكاد تجد رجلا منهم يتخلف عن صلاة الجماعة، لا يخوضون في أعراض الناس ولا يتكلمون إلا بخير، ويبتعدون كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية حتى تظل قلوبهم مؤتلفة على طاعة الله ورسوله فإن الخوض فى الخلاف كثيرا ما يحدث العداوة والبغضاء بين المتحابين ، الأمر الذى يمزق وحدة المسلمين ويفرق جمعهم ويذهب ريحهم ويشغلهم بأنفسهم عن نصرة دينهم وتأدية ما أوجبه الله عليهم ، وهم أغنياء بالله فقراء إليه لا يسألون الناس شيئا ولا يتخذون على دعوتهم إلى الله أجرا، ولا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص فى السفر والحضر، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على غيره.

ليس لهم أمير دائم فكلهم أمراء إذا خرجوا في سبيل الله امروا عليهم واحدا منهم، بعضهم خدم لبعض، لا يحب واحد منهم أن يتميز عليهم فى شيء فترى أكبرهم سنا وأكثرهم علما وأوفرهم مالا وأعلاهم منصبا يطهو الطعام ويعده لإخوانه في تواضع جم وسماحة نفس، وسلامة طبع وحسن خلق.

وقد رأيتهم يحبون العلماء ويجلونهم الإجلال كله، ومن آدابهم فى توقير العلماء خفض الصوت في مجالسهم، وحسن الإنصات إليهم والتفاني في خدمتهم، والتغاضي عن زلاتهم وهفواتهم، وطلب الدعاء منهم، وما رأيت قوما أطوع إلى العلماء العاملين منهم.

وهم قوم لا يتكلمون في السياسة ولا يحومون حولها، ولا يتكلمون فى المشكلات الاجتماعية إلا بقدر ما تقضى به الضرورة، ومبلغ همهم طلب الآخرة مع الاحتفاظ بنصيبهم من الحياة الدنيا.

وهؤلاء الكرام البررة لا يأمرون الناس بالبر وينسون أهليهم وذوى رحمهم، بل يجعلون لهم النصيب الأكبر من أوقاتهم فى تربيتهم على الفضائل وتنشئتهم على حب العمل الصالح، ويعدونهم إعدادا صحيحا لتحمل أعباء الدعوة إلى الله عز وجل والخروج في سبيله وابتغاء مرضاته، فتراهم يصحبون معهم أبناءهم إلى المسجد لإقامة الصلاة والجلوس في حلقات العلم، ومنهم من يرسل بعض أبنائه إلى الهند وباكستان ليتشرب هناك من رجال الدعوة والتبليغ أصول العمل، ويتذوق

حلاوته ويحفظ ما شاء الله أن يحفظ من كتب السنة، ثم يعود راشدا إلى بلده داعيا ومعلما.

ومن أصول هذه الجماعة التي اعتمدت عليها كمنهج تسير عليه، فإن سألت عنها فاسأل خبيرا بها، وإنك لو التقيت بهم، وأسعدك الحظ المقدر لك أن تجلس معهم، وأن تتقرب إلى المتعلمين منهم والقدامى من رجالهم، فإنك ستتعرف على هذه الأصول من خلال أفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم من غير عناء فى البحث عنها هنا وهناك ، وإنى لا أحرمك هنا من ذكر أهمها إجمالا فأقول : قد نظر أولئك الأعلام الذين أسسوا هذه الجماعة المجاهدة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه الكرام البررة رضى الله عنهم واستطاعوا بعد التأمل العميق في عباداتهم ومعاملاتهم وعاداتهم فوجدوا أنها لا تخرج عن الأوصاف الآتية :

١_ صدق اليقين، ومن ثمراته الاعتماد على الله وحده، والثقة الكاملة بفضله، وحسن التوكل عليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة في تحصيل الأرزاق وقضاء الحاجات .

٢ _حسن الاقتداء بالنبي ﷺ في شأنه كله بقدر الطاقة باستثناء ما يخصه وحده دون سائر أمته صلى الله عليه وسلم.

٣ _ إقامة الصلاة في المساجد بخشوع وخضوع وتمسكن وتواضع، فإن أصحاب النبي ﷺ كانوا يهتمون كثيرا بإقامة الصلاة في جماعة، ولا يكاد

يتخلف واحد منهم عن الجماعة إلا لعذر قاهر لقوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[١].

٤ _طلب العلم الموصل إلى الله تعالى ، وبذله لمن يطلبه ، فالناس هلكى إلا عالم ومتعلم.

٥ _ إكرام المسلمين جميعا وبذل ما يحتاجون إليه بسخاء وطيب نفس من غير أن يحملوهم على السؤال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، مع التعفف والزهد عما في أيديهم أو في أيدى غيرهم من الناس، ويدخل في إكرام المسلمين أيضا المحافظة على أموالهم وأعراضهم والكف عن النظر في عوراتهم وتتبع مساوئهم بقصد إحراجهم أو الشماتة فيهم.

٦ _ تصحيح النية ومعناه مراقبة النفس ومحاسبتها أولا بأول، وتعديل مسارها في الحياة، وردها إلى الله تبارك وتعالى كلما غفلت عن ذكره وشكره وحسن عبادته، حتى يصل بها إلى الأمن المنشود الذى نبأنا الله عنه بقوله في سورة الأنعام :﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٢]،أى أولئك لهم الأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة، والسعادة كل السعادة في نعمة الأمن، والأمن يتبع الإيمان بل هو منبعه ومصبه.

---

(١) سورة البقرة– الآية ٤٣ .

(٢) سورة الأنعام– الآية ٨٢ .

٧ _ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإصلاح ذات البين بالحكمة والموعظة الحسنة.

٨ _ الخروج في سبيل الله لنشر الدعوة وقد شرطوا لهذا الخروج أربعة شروط: الخروج بالنفس، والمال الحلال، وفى الوقت الحلال، وبالافتقار إلى الله تعالى.

ومعنى الخروج بالنفس: الخروج عن رغبة ورضا وإخلاص فلا يكفى أن يجهز بالمال من يخرج مكانه، فإن خروجه بنفسه فيه من الخيرات والبركات والتهذيب والتقويم ما لا يعرفه إلا من خرج فعلا ، وهاجر إلى الله مع المهاجرين فارا بنفسه من شهوات نفسه.

والخروج بالمال الحلال: يجعل العمل صحيحا مقبولا، كما هو معلوم من نصوص القرآن والسنة.

والمراد بالوقت الحلال الوقت الذى لا يكون المسلم مكلفا فيه بعمل ضروري يتطلب وجوده في بلده، أو بعمل أخذ عليه أجرا فمن أخذ الأجر طالبه الله بالعمل.

ومعنى الخروج بالافتقار: إلى الله أن يعتمد عليه سبحانه في تحقيق المراد من الخروج ، فلا يغتر بعلمه ولا بقوته ولا بكثرة ماله ولا بعظمة جاهه وعلو منصبه.

وفى أثناء الخروج يقيمون أربعة أشياء وهى : الدعوة إلى الله ، والتعليم والتعلم، والعبادة والذكر، وخدمة المسلمين.

ويلتزمون بأربعة أشياء وهى : طاعة المسئول، والعمل الجماعي، وآداب المساجد، والصبر والتحمل.

ويمتنعون عن أربعة أشياء: الإشراف، والإسراف، وسؤال غير الله، وعدم استعمال حاجة الغير إلا بإذنه.

والإشراف هو: تمنى ما عند الغير.

ويقللون من أربعة أشياء: الطعام، والمنام، والكلام في غير ذكر الله، ووقت قضاء الحاجات.

هذه هي جماعة الدعوة والتبليغ، وهذه هي أهم الأصول التي اعتمدوا عليها في نشر دين الله وحمايته ونصرته، وتطبيق أحكامه وآدابه.

وقد كان لهم أئمة حملوا راية التوحيد فى شتى بقاع الأرض، ولم يدخروا وسعا في تبليغ الدعوة ونشر مبادئ الإسلام، ونشر الدعوة وبيان محاسن هذه الشريعة الغراء بالأسلوب الذى يؤدى به أهل الدعوة والتبليغ، فإنه أسلوب يخلو من التكلف والاعتساف، يفهمه الخاصة والعامة، ويجدون فيه بغيتهم من غير عناء.

إن أهل الدعوة والتبليغ يخاطبون العقل والوجدان، ويهتمون كثيرا بإصلاح النفوس وتقويمها وبنشر الأخلاق الحسنة بين الناس، وهم كما نعلم قد وضعوا نصب أعينهم قوله جل شأنه:﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[1]،فهم متعاونون على إرساء

(١) سورة المائدة – الآية ٢ .

دعائم الإسلام في أركان الأرض بقدر طاقتهم البشرية، فأورثهم هذا التعاون حبا لا يستطيع اللسان أن يعبر عنه، فإنهم قد أشربوا هذا الحب حتى تمكن من أفئدتهم ، فكان كل واحد منهم أقرب إلى أخيه المسلم من شقيقه.

إنها أُخوة بُنيت على التوحيد الخالص والحب المتبادل الذى يخلو تماما من الأغراض الشخصية، ويبتعد بهم هذا الحب عن كل ما يكرهه الأخ من أخيه أو الصديق من صديقه، فكل واحد منهم يحرص كل الحرص على شعور أخيه، ويتمنى من أعماق قلبه أن يكون في خدمته بقدر جهده، وهذه الأخوة هي التي يشيد بها القرآن ويدعو إليها فى كثير من آياته، فهم من الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١)، فهى الأخوة الباقية التي لا تنقطع فى الدنيا ولا في الآخرة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، ونسأله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يلهمنا الرشد والسداد فى أقوالنا وأفعالنا، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

---

(١) سورة الحجرات – الآية ١٠ .

وقال الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله) في رسالته التي أرسلها إلى الشيخ سعد الحصين ، ردا على قوله أن كتاب حياة الصحابة فيه أحاديث ضعيفة: كتاب حياة الصحابة للعلامة المحدث الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي أيضاً مأخوذ مادته من كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب السنة والسير والتاريخ .. ثم يذكر المؤلف مصدره حسب عادة المحدثين ..وأريد هنا أن ألفت نظركم الكريم إلى بعض مؤلفات العلماء الأعلام من السلف والخلف الذين ألفوا في الفضائل والسيرة، وكيف أنهم مع علو مرتبتهم في الحديث وتشددهم المعروف في هذه القضية تجد أنهم قد تساهلوا أيضاً في مؤلفاتهم هذه بالذات وذكروا فيها أحاديث ضعيفة كثيرة كما هو معلوم، مثل ذلك: كتاب الأدب المفرد للبخاري إمام المحدثين، وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك، وصفوة الصفوة للإمام ابن الجوزي، وكتاب الكبائر للإمام الحافظ الذهبي، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير، والوابل الصيب وزاد المعاد للحافظ ابن القيم رحمهم الله [١].

(١) من رسالة أرسلها الشيخ إنعام الحسن، إلى فضيلة الشيخ سعد الدين الحصين.

فضيلة الشيخ

محمد إنعام الحسن الكاندهلوي

الأمير الثالث

لعمل التبليغ والدعوة

(رحمه الله)

نبذة عن حياة الإمام العلامة

الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوى (رحمه الله)

- هو العلامة المحدث المحقق العارف بالله تعالى الداعي إلى الله الصالح التقي النقي الورع العابد الزاهد محمد إنعام الحسن الكاندهلوى الصديقي رحمه الله، ابن الشيخ الصالح التقي الورع العابد الزاهد الشيخ محمد إكرام الحسن ابن الشيخ الفاضل الجليل الحكيم رضي الحسن الكاندهلوى الصديقي.
- ولد في قرية ((كاندهلة)) وحفظ القرآن الكريم على يد أستاذه الحافظ (نكتو) ودرس الكتب الابتدائية الدراسية على جده _من أمه_ الشيخ حكيم عبد الحميد وميزان الصرف وكتب النحو وكتب الفقه وغيرها من الكتب الدراسية على الإمام الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى في مدينة دهلي عاصمة الهند.
- ثم درس بجامعة مظاهر العلوم ببلدة سهارنفور بعض الكتب الفقه والأصول عام ١٣٥٢ هـ، ثم رجع إلى دلهي وأتم دراسة بقية الكتب الدراسية فيها، ثم ذهب مرة أخرى مع الأمام الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى عام ١٣٥٤هـ إلى جامعة مظاهر العلوم لتكميل دراسة

الحديث الشريف، فدرس معه صحيح البخاري على المحدث الكبير منظور أحمد خان، وسنن الترمذي على العلامة الشهير بشيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوى، وسنن الترمذي على المحدث عبد الرحمن الكامل فوري، ولم يستطع إكمال الصحاح الستة بالجامعة بسبب مرض الشيخ محمد يوسف رحمه الله تعالى فاضطر للرحيل معه إلى دلهي وأتم دراسة كتب الحديث المذكورة على الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى رحمه الله تعالى، من سنن ابن ماجة والنسائي وشرح معاني الآثار للطحاوي والمستدرك للحاكم .

- ثم قام بعد ذلك بتدريس الحديث الشريف في مدرسة كاشف العلوم ((حضرة نظام الدين بدلهي)) إلى آخر حياته رحمه الله.
- ورافق الشيخ محمد يوسف في عمل التبليغ والدعوة وكان ساعده الأيمن طول حياته وبعد وفاته عام في ذي الحجة ١٣٨٤هـ.
- لما توفي الشيخ يوسف رحمه الله، كانت إمرة هذه الحركة (التبليغ والدعوة) التي كانت واسعة الانتشار، وكانت تتوسع دائرتها قضية حاسمة بعد وفاة أميرها الشيخ محمد يوسف الذي تولاه بعد وفاة والده المؤسس للحركة، ولم يكن اختيار الأمير الجديد عملا سهلا، فإن الإمارة لهذه الحركة كانت تقتضي شروط خاصة في الأمير، أولها العاطفة الصادقة والذوق المتناسق مع هذا العمل والمنهج الخاص للدعوة، وأن تكون فيه تجربة وصلة وثيقة بها، ويكون مشاركا للأمير السابق في رحلاته وإقامته، وكان الشيخ إنعام الحسن قريبا للشيخ

محمد يوسف وزميلا له منذ الصغر، وكان من مسترشدي مؤسس هذه الحركة الشيخ محمد إلياس وتلامذته ، بل كان ربيبه، وكان من محركي هذه الدعوة وموجهيها، ومن المستشارين المعدودين في أمورها، وموضع ثقة لدي الشيخ محمد يوسف، وكان يطمئن إلي آرائه، ويعتمد عليه في كثير من الأمور.

وقرر الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى وهو كبير الأسرة، نظرا لهذه المزايا المتكاملة في الشيخ إنعام الحسن، بعد مشاورات مع أقرب العاملين أن يتولى الشيخ إنعام الحسن إمارة الحركة، وأعلن ذلك فخر الحسن أستاذ دار العلوم (ديوبند) أمام ألوف من الناس الذين اجتمعوا بهذه المناسبة، وكان هذا الإعلان مبعث اطمئنان وقبول لدي العاملين ، وسويت القضية بهدوء.

- فاختير أميرا للدعوة والتبليغ وكان يتهيب من قبول الأمارة ويعتذر عنها، بحجة أنه لا يتمتع بقوة الخطابة التي هي جزء أكيد لهذا المنصب، لكن الله سبحانه وتعالى أيده ورزقه من قوة الخطاب والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ما وهبه التأثير التلقائي في الجماهير المسلمة، وخاصة في الاجتماعات الكبيرة التي كانت تعقد في بلدان العالم المختلفة، وأضيف إلى ذلك روح العلم والورع والإخلاص، وروح التفاني في سبيل الدعوة إلى الله تعالى التي كان يتمتع بها، وأصبحت له غذاء لا يعيش بدونه وأصبحت له شعارا ودثارا لا قرار له بغيرهما

ولم يكن له هم إلا أن يتحدث فيما يتعلق بشئون الدعوة وتبليغها للناس كافة .

- كان يشرف على النشاط الدعوي في العالم بوجه مستمر، ويهتم بتوجيه الدعاة إلى جميع أنحاء العالم ، فقد كانت الجماعات تخرج في سبيل الله ليلا ونهارا من أقصى بلدان العالم إلى أقصاه، حيث أتسع نطاق الدعوة في عهده اتساعا كبيرا، وتميزت بصفة العالمية، فكانت الجماعات تعمل في الولايات المتحدة والصين واليابان وروسيا والأقطار الأوربية وبلدان ما وراء النهر ودول جنوب شرق آسيا وجميع البلدان الإفريقية وقارة أستراليا فضلا عن دول غرب آسيا والدول العربية والإسلامية، ولا أعلم هناك دولة من دول العالم لا تكون قد وطئتها أقدام هذه الجماعة المباركة في عهده رحمه الله رحمة واسعة، لقد عرف الناس بطريق هذه الجماعة آداب الحياة وتعاليم الإسلام التي تصبغ حياة المرء بالصبغة الإيمانية المتميزة {صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ }[1] بعيدة عن جميع الملابسات المادية، والمجهودات الاجتماعية، ومن جميع الألوان السياسية، والمطالبات والحقوق، مع حصر كل مجهود في ذات الله تعالى، والالتجاء إليه، والطلب منه، ومد يد الضراعة والعون منه، والخشوع إليه والعبودية الخالصة له وحده لا شريك له جل جلاله، دون أن تتعرض الجماعة

(١) سورة البقرة– الآية ١٣٨ .

لأنواع المشكلات التي تجتازها الأمة، والاستمداد في البحث عن حلول لها في المحافل الدولية، ومجالس الأمن وغيرها، لكنها تعتمد في كل ذلك على الله تعالى، وتهتم بتصحيح العلاقة مع الله جل جلاله دون الناس، والتوكل على الله تعالى في جميع الشئون والظروف، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، سارت الدعوة على هذا النهج ، وقد كان لفقيدنا الراحل أكبر نصيب في نشر هذا المفهوم الواضح للدعوة إلى الله تعالى، ووفقه الله تعالى للقيام بجولات واسعة في هذا السبيل ودعوة العامة والخاصة إلى هذا المنهج الخالص ، حتى استطاع بتوفيق الله تعالى أن يؤثر في المجتمعات العالمية، ويكسب قلوب الناس لقبول هذه الدعوة والخروج في سبيلها وتحمل المشاق لابتغاء وجه الله تعالى .

- ولقد شهد الناس في عهده أن عددا كبيرا من رجال العلم والدين وأفراد من العائلات والأسر الحاكمة في الدول الإسلامية خرجوا في سبيل الدعوة وتجولوا في العالم من أجلها لا يريدون من وراء ذلك إلا أن يقتفوا أثر الصحابة والتابعين وأعلام الأمة من أهل العلم والدين ، فيؤدوا بذلك بعض الواجب الديني الذي يعود إليهم، وكان بتوفيق الله تعالى له أن ينشئ جماعة مخلصة تتبنى عمل الدعوة والتبليغ على غرار من سبق من العاملين المخلصين في هذا السبيل، وأن ينشئ جيلا من الدعاة ممن يتحملون هذه المسؤولية ويعرفوها إلى المسلمين، ويؤكدوا أن ما تعيشه الأمة اليوم من أوضاع سيئة، وتعانيه من مشاكل

ومتاعب، إنما مرد ذلك كله إلى ضعف روح الدعوة والهداية في نفوس أفراد الأمة، وعدم الاهتمام بأداء هذه المسؤولية التي كلفت به الأمة بجموعها .

- استمر الشيخ رحمه الله بالدعوة إلى الله حتى آخر حياته، واستمر أيضا بتدريس الحديث الشريف، لا سيما صحيح البخاري في مدرسة كاشف العلوم.
- ومن صفاته: أنه كان طويل السكوت، كثر الصمت، طويل الفكر.
- توفي رحمه الله تعالى في شهر محرم الحرام يوم عاشوراء سنة ١٤١٦ هـ
- على هذا ركز الفقيد الكريم عنايته وما ضيع لحظه من حياته في غير هذه الدعوة المباركة وظل يعيش للدعوة وحدها لا هم له بغيرها ويتصل بربه تبارك وتعالى ويدعوه، ويسأله التوفيق لأداء هذه المسئولية الكبرى التي أكرمه الله بها فكانت حياته قدوة صالحة للعاملين في هذه الدعوة وفيها أسوة لمن يأتي بعده فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير، وتقبل أعماله، وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ورحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

بصيرة

الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله)

- سُئِلَ الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله):هل هناك عدواً أشد من الشيطان؟

فقال: النفس هي أشد عداوة للإنسان من الشيطان.

جاء رجل للشيخ إنعام (رحمه الله)، وقال له: إن زوجتي وأولادي غير قابلين للدين.. فما السبب ..؟! قال الشيخ: انظر من أي شيء تطعمهم ..! قال الرجل: كيف..؟! قال الشيخ: الجسم الذي نبت من حرام يرفض الحق.. والجسم الذي نبت من حلال ينجذب إلى الحق.

ويقول أحد الأحباب المصريين عندما ذهبت إلي باكستان، ولما حضرت الاجتماع، طلبت من المشايخ زيارة الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله)، فأدخلوني علي الشيخ فسلمتُ عليه وصافحته، ثم رحب بي، فقلت له: أنا أريد أن أقوم الليل ولكن لا أستطيع فما السبب ؟ فقال لي: ماذا تعمل ؟ قلت: موظفا في الحكومة، قال: متى تذهب إلي العمل ؟ قلت: في الساعة العاشرة صباحا، قال: ومتى ترجع من العمل؟ قلت: الساعة الثانية عشر ظهرا، قال: فما هو وقت العمل الرسمي، قلت: من الساعة الثامنة صباحا وحتى الثانية ظهرا، قال: اذهب إلي العمل في الساعة الثامنة صباحا وارجع من العمل في الثانية ظهرا، قلت له: كل الزملاء، يفعلون مثلي (يعني يحضرون إلي العمل في العاشرة ويرجعون في الثانية عشر ظهرا) قال: لا تنظر إلي غيرك.

فلم يكلمني علي قيام الليل، وأجابني بهذه الإجابة، فعلمت من كلام الشيخ أن طعامي ليس بحلال، والذي يأكل الحرام لا يستطيع القيام بين يديه، كما قال أحد السلف، من أكل حلالا أطاع الله إن شاء أم أبي، ومن أكل حراما عصى الله إن شاء أم أبي.

ومن وصايا

الشيخ محمد إنعام الحسن(رحمه الله)

- استمروا في عملكم بالأصول وعاملوا الناس بحسن الخلق مهما كانت الشدة علينا لا تتغير أخلاقنا.. فالله يرد عن الداعي ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).
- وجود عمل الدعوة في هذه الأيام نعمة من الله تعالى، ولكن لله سنة ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ (٢).
- هذه الدعوة تمشى بالفكر.
- منذ كنت أميراً نَسِيتُ رأيي (وهي وصية لكل أمير أن لا يتشبث برأيه بل عليه بمشاورة أصحابه).
- يقول في هدايات الراجعين، لو نقوم على هذا الجهد المبارك (الدعوة و التبليغ) و نقوم على الخمسة أعمال المسجد بالصبر والاحتساب وبالتواضع مع الأحباب، وأدرك أحدكم الأجل (الموت) يلقى الله وهو راض عنه و يتوفاه الله وهو ولي من أولياء الله تعالى .
- والخمسة أعمال المسجد :

١- تفريغ ساعتين ونصف يوميا للجهد.

٢- المشورة اليومية.

٣- التعليمين تعليم في المسجد وتعليم في البيت يوميا.

٤- الجولتين الجولة المقامية والجولة الإنتقالية في الأسبوع.

---

(١) سورة الحاقة – الآيتان ٤١، ٤٢.

(٢) سورة النساء – الآية ١٤٧.

٥- خروج ثلاثة أيام شهريا) نسأل الله تعالى أن يستعملنا ولا يستبدلنا ..مستعدين إنشاء الله تعالى ؟؟؟؟.

- وقال الشيخ إنعام الحسن للجماعة الخارجة خارج الهند: أنتم تخرجون إلى خارج البلاد لإصلاح ما بالداخل، ثم أضاف قائلا: نجتهد بالدعوة في النهار ونجتهد بالدعاء والتضرع بالليل يأتي نور الهداية، ومن يجتهد في النهار ولا يتضرع الى الله في الليل يخاف عليه أن يصيبه الكبر لأن عدم الدعاء والتضرع الى الله سبحانه يدل على ان الداعي يتكل على نفسه وجهده.

وان كان الدعاء بالتضرع الى الله سبحانه في الليل وليس هناك جهد بالنهار فقد خالف الداعي سنة الله سبحانه وتعالى مثل هذا الداعي كمثل من يريد الأولاد ولم يتزوج ويسأل الله أن يرزقه الاولاد، رغم أن الله سبحانه قادر على هذا ولكنه ليس من سنة الله سبحانه في الخلق.

إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزق الأولاد بخلاف الاسباب وبدون الاسباب كمثل سيدنا آدم عليه السلام خلقه الله من لا شيء، وسيدنا عيسى عليه السلام خلقه بخلاف الأسباب من أم بلا أب وهذا بقدرته ولكنه جعل سنة خلق الناس إلى يوم القيامة أن يتزوج الناس، وهكذا الهداية سنة الله سبحانه فيها هي الجهد والدعاء إلى يوم القيامة.

بيانات

الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله)

البيان الأول

الحياة الإنسانية

قال تعالي: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (١).

وقال تعالي: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢).

إن الله ﷻ خلقنا في الدنيا، وبعثنا لوقت قليل، واختار لنا قضاء الحياة الإنسانية، والطريق الذي اختاره الله لنا هو الإسلام، وهو المقبول عند الله تعالي.

وللطريق الذي حدده الله سبحانه وتعالي خمس صفات:

١) الإيمانيات. ٢) العبادات. ٣) المعاملات. ٤) المعاشرات. ٥) الأخلاق.

فإذا تمسك الإنسان بهذه الصفات في شعب الحياة المختلفة يسمي " مسلما " وهذه هي الحياة المطلوبة عند الله ﷻ وأي طريق آخر يختاره الإنسان لحياته، غير الإسلام، فغير مقبول عند الله ﷻ.

وبمقدار قوة الإيمان، تكون الأعمال صافية، وبقوة صفاء العبادات تكون المعاملات صافية، وبمقدار صفاء المعاملات تكون المعاشرات طاهرة، وبقدر طهارة المعاشرات، تكون الأخلاق الرفيعة الحسنة.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران – الآية ٨٥.

وبقوة هذه الصفات يكون إسلام العبد قويا، وتكون حياته الدنيوية سهلة جداً وفيها السعادة.

وكيف نتصف بهذه الصفات ؟

الله ﷻ أعطانا الجهد، وهذا الجهد يسمي الدعوة إلي الله ﷻ، وبالدعوة يقوي الإيمان، وبقوة الإيمان تصلح جميع شعب الحياة.

ما هي الدعوة ؟

هي ذهابنا بأوامر الله في خلقه الضعفاء، وإذا قمنا بهذه الأوامر علي منهج صحيح يتقوى الإيمان، وهذا منهج الأمة، فكل واحد كان يدخل في الإسلام كان يشعر بأن هذه مسئوليته، ما دام في هذه الحياة.

الدعوة لها جناحان:

١) *الهجـــــرة:* وهي ترك المحبوبات والمرغوبات والشهوات في سبيل الله.

٢) *النصـــــرة:* هي أن نصاحبهم في أعمالهم، ونعرف أحوال أولادهم، وأهليهم ونساعدهم.

فإذا قامت الأمة بالهجرة والنصرة، ينشر الله ﷻ بهما الهداية في العالم.

وعندما تتحرك عربة الدعوة بهذين الجناحين، تحي الشعب الإيمانية، ويحيي دين الله ﷻ، وتنزل نصرة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الّذِي يَنصُرُكُم مّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)، ونسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم التمسك بهذه الصفات، وبهذه الدعوة إلي الموت.. اللهم آمين . (٢).

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٦٠.

(٢) محاضرة ألقاها الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله) في اجتماع بنجلاديش عام ١٩٨٨ م.

البيان الثاني

للشيخ إنعام الحسن

إن الطريق الذي أعطاه الله للناس هو الصحيح والمناسب، وهي الحياة التي تقيم التوازن للإنسانية في كل شعبة في الحياة، والتوازن هو العبودية التي يريدها الله ﷻ للإنسانية.

قال تعالي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }(١).

والعدل إقامة التوازن في كل شيء، ولعدم وجود التوازن خرجت الإنسانية من حياة الإنسانية، والحياة التي جاء بها الرسول ﷺ، هي التي تقيم التوازن، والذي يتولى عنها لا يكون له التوازن، وفي الآخرة الله أعلم بحاله.

والآن لجلب التوازن في الإنسانية، لابد من جهد الدعوة إلي الله.

وإذا قامت الحياة الإنسانية في الناس، فالله يصلح الحال في الدنيا ويجعل النعيم في الآخرة.

وطريقة الرسول ﷺ هي الدعوة، والذي يريد إتباعه، فعليه بطريقته ﷺ: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ

(١) سورة المائدة _ الآية ٨.

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)، لذلك نقرأ قصص دعوة الرسول الله ﷺ وما تحمله من أجل تبليغ الدين للإنسانية.

---

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨.

قال ابن كثير رحمه الله : " . . . أن هذه سبيله ، أي : سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقه ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه ، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي " تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٢٢).

وقال البغوي رحمه الله : " والبصيرة : هي المعرفة التي تُميّز بها بين الحق والباطل " معالم التنزيل (٤ / ٢٨٤) .

وقال القرطبي رحمه الله : { عَلَى بَصِيرَةٍ } أي : على يقين وحق.(أحكام القرآن (٩ / ١٧٩) .

وقال الراغب رحمه الله : { عَلَى بَصِيرَةٍ } أي : على معرفة وتحقيق.(مفردات القرآن ص ١٢٧).

وبين ابن عاشور رحمه الله البصيرة بأنها : " هي الحجة الواضحة.(التحرير والتنوير (٧ / ٦٥) .

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل : " كتاب التوحيد " . قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله : " ووجه ذلك : أن اتباعه صلى الله عليه وسلم واجب، وليس أتباعه حقًّا إلا أهل البصيرة ، فمن لم يكن منهم فليس من أتباعه ، فتعيّن أن البصيرة من الفرائض .(تيسير العزيز الحميد ص ٩٥).

وقال ابن القيم بقوله : " أعلى درجات العلم: البصيرة ؛ التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخِصّيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء" (مدارج السالكين (٣ / ٣٥٦).

والبصيرة في الدعوة لا تختص بالعلم الشرعي فقط، بل تشمل: العلم بالشرع، والعلم بحال المدعو، والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود، وهو الحكمة، فيكون بصيرا بحكم الشرع، وبصيرا بحال المدعو، وبصيرا بالطريق الموصلة لتحقيق الدعوة. وزير الشؤون الإسلامية

نعم العبد من عرف الحقيقة، وفهمها وعمل بها الدهر كله، وهي أن الدنيا وإن طالت فمصيرها الزوال ولا تبقى مع الإنسان.

رجل رأى مكة ثم المدينة، ثم هذا المكان، في هذا المسجد، كم غير مصل وغير ذاكر لله، وأصبح مصليا وذاكرا لله.

والله انتخب لنا الشيخ إلياس (رحمه الله) وكان يدعو لنا مع مرضه، لا نقول أن هذا المسجد مثل المسجد الحرام أو مسجد المدينة، ولكن العمل الذي فيه، كان في زمن الصحابة.

كان الشيخ إلياس يرجو بأن لا يأتي لهذا المسجد أحد ويرجع جيعان ، أو بغير هداية ، بل يرجع يحب الخروج والدعوة .

فيا أحبابي: اجعلوا المقصد الذي جئتم من أجله أن تتيقنوا بالآخرة.

نسأل الله ﷻ أن يجعل فكر الآخرة (الجنة والنار والصراط والميزان والحساب) أمام أعيننا جميعا.

الله سبحانه وتعالى استعملنا لخدمة دينه في كل العالم.

الله تعالى يرينا حقيقة الآخرة، ويخرج من قلوبنا الدنيا وصورها، والآخرة تبدأ من الموت. فالصحابة رضي الله عنهم من خصوصياتهم أنهم كانوا يؤمنون بما جاء من عند الله، وكان نظرهم إلى الأمام دائما مثل السائق الذي ينظر أمامه، فاجتهدوا للآخرة كل الجهد .

والأوقاف والدعوة والإرشاد صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ [مقدمة كتاب البصيرة في الدعوة إلى الله للشيخ عزيز بن فرحان العنزي].

ضحى الأنبياء والصحابة والتابعين، بكل شيء، والآن كيف الحال ؟!!! .

الرسول ﷺ كم ضحى وكم اجتهد ؟؟ ولكن كان يستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، ونزلت: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (١)، فأبو بكر كان يبكي، مع أن هذا كان وقت الفرحة والنصر، وأبو بكر يبكي، فلما سألوه أجاب..أنه لما طلب الله من رسوله التوبة، فمعناه دنو الأجل وانتهاء الحياة، لم أفرح بقدر ما حزنت على انتقال الرسولﷺ، فآخر شيء الآن الاعتكاف، وآخر رمضان، وآخر العبادات، وآخر القرآن، يا رب ، ما فعلت لا يليق بشأنك، قال الله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ }(٢).

فأنت يا رب طلبت حق العبادة والجهاد والتقوى، ونحن لم نؤدي ولا نستطع، يا رب ماذا يحصل لنا إذا طلب ربنا منا حقه يوم القيامة، يا رب سامحنا .

حين قال الرسول ﷺ ((اللهم اغفر لي)) فنحن ناقصين من كل ناحية وعملنا ناقص، فهذا معيار الوقت والعمل.. فالآن فكروا وتوجهوا، عَنْ

(١) سورة النصر _ الآيات من ١: ٣.
(٢) سورة الحج _ الآيات من ٧٨ .

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَعَمَلِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . (١) .

إن الفعال الموجود الحقيقي لكل شيء هو الله تعالى، ولكن علينا اختيار السبب نجتهد قدر استطاعتنا، فالإنسان للزراعة والتجارة يجتهد ويتعب وبعدها يقول، إن الله هو الرزاق .

فعلينا أن نجتهد ونتحمل ثم نقوم أمام الله جل جلاله وندعوه ونتضرع إليه حتى يتقبل هذه الأعمال، وأن يرزقنا ويرزق أهل العالم الحياة الإيمانية .

فهذه الأعمال الخمسة نشتغل بها، من ثم يكون طعامنا وشرابنا ونومنا من الأعمال.

---

(١) مشكاة المصابيح _ باب الإيمان بالقدر – الفصل الأول ٣١/١ .

فالآن نحن علينا أن نجعل عاداتنا وضرورياتنا عبادات، لأن عباداتنا الآن تحولت إلى عادات، فنجتهد وندعو الله أن يجعل جهدنا وسيلة للهداية، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا للجهد وأن يشرح صدورنا لجهد الدين، وأن تكون كل حياتنا على السنة، وأن تكون عاداتنا وضرورياتنا سببا لحصول الثواب .

البيان الثالث

للشيخ إنعام الحسن

قال الشيخ انعام الحسن للجماعة الخارجة خارج الهند: أنتم تخرجون الى خارج البلاد لإصلاح ما بالداخل، ثم اضاف قائلا: نجتهد بالدعوة في النهار و نجتهد بالدعاء و التضرع بالليل يأتي نور الهداية، ومن يجتهد في النهار و لا يتضرع الى الله في الليل يخاف عليه ان يصيبه الكبر لأن عدم الدعاء والتضرع الى الله سبحانه يدل على ان الداعي يتكل على نفسه و جهده.

وإن كان الدعاء بالتضرع الى الله سبحانه في الليل وليس هناك جهد بالنهار فقد خالف الداعي سنة الله سبحانه وتعالى مثل هذا الداعي كمثل من يريد الاولاد ولم يتزوج ويسأل الله أن يرزقه الاولاد، رغم ان الله سبحانه قادر على هذا ولكنه ليس من سنة الله سبحانه في الخلق.

إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزق الأولاد بخلاف الأسباب وبدون الأسباب كمثل سيدنا آدم عليه السلام خلقه الله من لا شيء، وسيدنا عيسى عليه السلام خلقه بخلاف الاسباب من ام بلا اب وهذا بقدرته ولكنه جعل سنة خلق الناس الى يوم القيامة أن يتزوج الناس، وهكذا الهداية سنة الله سبحانه فيها هي الجهد والدعاء إلى يوم القيامة.

إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله والله عنده خزائن كل شيء وهو خالق الاشياء ومصرف الاحوال يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من

خلقه وهو الصمد وهو الذي جعل فلاحنا وفلاح الناس جميعا فقط بالامتثال لأوامره على طريق النبي صلى اله عليه وسلم.....

حتى يأتي ويترسخ هذا اليقين في قلوبنا لابد من الجهد على منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا الجهد يتطلب تفريغ الاوقات انا مستعد فهل انتم مستعدون؟.

البيان الرابع

للشيخ إنعام الحسن

الآن تضيع الأوقات كثير في العالم، وبيئة العالم الآن مثل النار، فعلينا أن نجتهد بأعمال المساجد لإطفاء هذه النار، فالجماعات يكون فيهم أوامر الله، وهذا قليل، ولكن إذا تتحرك هذه الأعمال فتكون مثل رجال الإطفاء.

فالاهتمام بهذه الأعمال والاستقامة عليها ضروري جدا .

فالباطل الآن كثيرا في العالم، لأن الحق اختفى، والحق لا يظهر إلا بالجهد والتضحية، فإذا جاء الحق زهق الباطل.

إذا شبت النار في مكان وكانت ضخمة، فيأتي رجال الإطفاء ويكونوا قليلون، ولكن إذا توجهوا وعملوا بإخلاص فيسيطرون على النار ويطفؤونها .

فهكذا نار المعاصي في العالم كثير ونحن قليل فنحتاج بالتوجه والإخلاص، ونقوم بهذه الأعمال ولا نلتفت لأهل الدنيا ولا تجرفنا الحرائق، ومن ثم علينا أن نحفظ الأعضاء والجوارح، وخصوصا العين.

فالجهد الضروري هو لإيجاد الحق وليس لإزهاق الباطل: { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا }(١) ، فلما يأتي الحق يزهق الباطل، ولا يبقى له وجود.

فإذا نجتهد بهذه الأعمال ونقوم مسرعين بالاهتمام والإخلاص نكون

---

(١) سورة الإسراء _ الآية ٨١ .

سببا لإطفاء حرائق الباطل.

وتأتي الرحمة والنصرة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }(١) ، (إن تنصروا الله ينصركم.....) ونصرة الله تعالى حق، ولكن لها شروط وأسباب.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاشتغال بالأعمال التي بسببها تأتي نصرة الله تعالى.

(١) سورة محمد_ الآية ٧ .

رسائل الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله)

الرسالة الأولى

لما توفي الشيخ يوسف (رحمه الله)، واختير الشيخ إنعام الحسن(رحمه الله)أميرا لهذا الجهد المبارك، أرسل رسالة إلي جميع المراكز الفرعية في البلدان، ليخبرهم بوفاة الشيخ يوسف، ويحثهم فيها علي مواصلة الجهد، ووقع عليها هو والشيخ هارون ابن الشيخ محمد يوسف:

نص الرسالة:

مدرسة كاشف العلوم، بستي نظام الدين ((دلهى الجديدة)) ١٣ ذو الحجة ١٣٨٤ هـ

الأخ الكريم/ ..... _ وفقنا الله وإياكم لما يُحب ويرضى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نسأل الله تعالى أن تكونوا بخير وعافية، لعلكم علي علم بأن الحاج الشيخ محمد يوسف _ نور الله مرقده _ قد توفي في ((لاهور)) في ٢ إبريل ١٩٦٥م بعد صلاة الجمعة إثر مرض طارئ، إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا يشك أحد أن الشيخ (رحمه الله) كان يملك مزايا شخصية وصفات عالية لا تُعد ولا تُحصى، فكان صورة لعلاج كثير مما نعاني منه، وإن مفارقته في تبعث في الظاهر علي خسارة وقلق لنا، ولكن الإيمان

بالله وبوعده ونصرته، وبركة الجهد علي منهج الرسول ﷺ هي نعم الخلف لنا والبديل الحقيقي وفيه السلوان لنا.

لقد كان الرسول ﷺ وذاته المباركة سبب وجود هذه الأمة، وكان تضرعه، وحرقة قلبه، وجزعه علي هذه الأمة، مبعث نشأة لهذه الأمة وازدهارها، ومبشرا لنجاتها وفوزها يوم الآخرة، وكانت زيارة محياه المنور أفضل من عبادة ألف سنة وأنفع منه في الرقي الروحاني، ولكنه فارق الدنيا، وأصيبت أمته بحزن فراقه، ثم أحيطت بمصائب وفتن، ولكن السير علي منهج الرسول ﷺ والتضحية في سبيله والاشتغال بدعوته، والتضرع إلي الله علي منهجه ونشر كلمته، كان بديلا عن ذاته ﷺ ، وسيظل كذلك بديلا عن سائر الذاهبين والمفارقين، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }(١).

إن العامل العالي لخدمة الدين، الذي هدانا الله بفضله وكرمه ولطفه إليه هو البلسم لجروحنا، وعلاج سائر مشاكلنا، وحل لقضايانا وسائلنا، فعلينا جميعا أن نتقدم في هذا الطريق، ونوسع دائرته، واثقين بنصر الله، ومؤمنين بسداد هذا الطريق، ونجتهد اجتهادا متواصلا، لكي يقيض الله لنصرة هذا الدين ببركة هذا الاجتهاد رجالا مخلصين أولي العزم، ودعاةً إلي الله، يُضحون في سبيله كل غالٍ ونفيس متفانين فيه.

---

(١) سورة الأنفال – الآية ٣٣.

علينا أن نجتهد لوجود هذه النفوس الطيبة ، ولا نألو جهدا لوجود هذه النفوس الطيبة، ولا نألوا جهدا في أعمال الخير، من الصدقات والإكثار من تلاوة القرآن، وخاصة الذكر والتسبيح والدعاء والتجوال في سبيل الدعوة محليا وخارجيا، والمواظبة علي التعليم اليومي، وشغل اللسان بذكر الله، لقد كانت الأمنية الأخيرة للشيخ الراحل أن يخصص كل رجل يحمل همَّ الدين، ثلث وقته وماله للدين علي منهج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأن ينفق من ماله علي هذه الدعوة، وعلينا مسئولية تحقيق هذه الأمنية.

العبد الفقير إلي الله

محمد إنعام الحسن، غفر له

محمد هارون، غفر له[١].

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى حياته ومنهجه في الدعوة ت ١٣٨٤ هـ تأليف الشيخ محمد الثاني الحسني .

الرسالة الثانية

رسالة الشيخ إنعام الحسن

إلى فضيلة الشيخ سعد الدين الحصين المحترم وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه بفضله وكرمه ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد .. فقد تلقيت خطابكم الكريم المؤرخ ١٤٠٤/٩/٩ هـــ ببالغ الشكر والتقدير المتضمن على عدة استفسارات وتساؤلات، وهذا يدل على غيرتكم وحميتكم الدينية ونريد أن نجيب عنها بإيجاز لتكونوا على بصيرةٍ من الأمر .

أخي الكريم ... إن هذه الدعوة ليست إلا للعودة بالأمة إلى كتاب الله وسنة رسولهﷺ وطريقة السلف الصالح وهو صراط المستقيم .

وقد نفع الله بهذه الدعوة ... والحمد لله .. خلائق لا يحصون في جميع أنحاء العالم وعادوا من الشرك والضلال والبدع والخرافات إلى عقيدة التوحيد النقية، وتاب كثيرٌ منهم من الإلحاد و الزندقة .. ومن شرب الخمور وتعاطي الربا وارتكاب شتّى المعاصي، ورجعوا إلى المساجد يعبدون ربهم وينيبون إليه متمسكين بهدي المصطفى ﷺ ملتزمين بسنته الطاهرة كما لا يخفى عليكم .

كذلك لا ننكر أن كثيراً من الناس والشباب المنحرفين، تابوا من المعاصي وعادوا إلى الصراط المستقيم ، بقي فيهم بعض آثار الانحرافات

السابقة ، وهم بحاجة إلى تثقيف ووعي إسلامي أعمق ، فهذه الانحرافات لا ينبغي أن تنسب إلى الدعوة .. فإننا أحياناً نضطر لغض النظر عنها للظروف القاهرة .. بل يحتاج هذا إلى المشاركة من أمثالكم في هذا العمل الجليل لتثقيفهم وتربيتهم .

أما أصول الدعوة فهي معروفة لديكم ، ولدى الجميع ولا خلاف فيها بين أحد من الناس ، وهي التي نحرص عليها في هذا العمل ، وندعو إليها كافة الناس عرباً وعجماً.

فإما المسائل الدقيقة العلمية ، فعادةً نحيلها إلى العلماء المختصين ونقول لهم {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }(١) هذه حقيقة معروفة بين العرب والعجم لا خفاء فيها .. وكل ذلك حرصاً على جمع شمل الأمة.

ولكن بسبب المودة والمحبة الخاصة التي تربط بيننا وبينكم، أن نشرح لكم بشيْ من التفصيل لما ذكرتموه في رسالتكم الموقرة.

الطرق الصوفية والبيعة ليست قطعاً من أصول هذه الدعوة، كما هو مقرر ومعلوم.. ولا ندعو الناس أبداً لها صراحة ولا إشارة .. ولا عرباً ولا عجماً .. ولكننا نقر منها ما يوافق الربانية التي عبر عنها القرآن الكريم (بالتزكية) والحديث الشريف (بالإحسان) وما يخالف ذلك فإننا

(١) سورة النحل – الآية ٤٣ .

نعتبره بدعة وضلالة ولا علاقة له بالإسلام ولا علاقة لنا به وليس لنا وجهان والحمد لله في ذلك.

وإنما كما هو معلوم أن البيعة في الطرق الصوفية رائجة ومنتشرة في شبه القارة الهندية، والواقع أننا إن لم نبايع هؤلاء الذين يصرون علينا بذلك .. فإنهم حتماً سيبايعون غيرنا ويقعون في حبائل المبتدعة والمنحرفين من المتصوفة الزنادقة.

وعندما نبايع فإننا لا نبايع إلا على طريقة رسول الله ﷺ كما ورد في الحديث الصحيح في البخاري من كتاب الأيمان أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ــ رضي الله عنه، وكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: " بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ " . فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

وعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، قَالَ سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ، ثُمَّ قَالَ اسْتَعْفُوا لأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ . ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ

النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ. فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ . ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ (١).

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.متفق عليه (٢).

وغير ذلك من الروايات الصحيحة الصريحة الكثيرة شحنت بها كتب السنّة ... فهذه البيعة بيعة التوبة .. وهي ليست من الشرك ولا من البدع بل هي مقيدة بسنّة رسول الله ﷺ .

أما ما خالف كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ من عقيدة أو عمل أو أقوال أو كشف أو كرامة ، فإننا نرمي به عرض الحائط ، ولا نبالي به ، ونبرأ إلى الله منه .

ومن يقول أو يعتقد بشيء يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنه لا يساوي عندنا شيئاً ، بل إننا نبغضه في الله كائناً من كان كبيراً أو صغيراً .. هذا ما ندين الله به ونسأله سبحانه أن يحشرنا عليه آمين .

وأما ما ذكرتموه من بعض الإخوان من الجماعة أنه لا يتزوج أحدهم أو يبني بيتاً أو يغير وظيفته إلا بعد موافقة الأمير، فهذا وجهه :

أن أحد الذين تكون له علاقة قديمة بالدعوة وبي شخصياً يستشيرني في أمر من أموره فأعطيه رأي الشخصي بأمانة " وصدق " على قاعدة "

---

(١) البخاري – كتاب الإيمان .

(٢) مشكاة المصابيح – كتاب الآداب – باب الشفقة والرحمة علي الخلق ١٣٨٧/٣.

المستشار مؤتمن ((وأنتم على علم أن جميع العاملين والمشتغلين بالدعوة غير ملزمين في هذه الأمور بالرجوع إلى أي أمير أو الالتزام برأيه ... وإنما كل أحدٍ حرّ في تصرفاته .. فقط الذي ندعوا إليه كل أحد :- أن يلتزم في جميع شؤون حياته بأمر الله ، ﷻ وسنة رسوله ﷺ فالفلاح والنجاح كله في ذلك .

أما لماذا نخص العرب بكتاب " رياض الصالحين " فالأمر واضح وهو أن هذا الكتاب نافع وجيد تلقته الأمة بالقبول.. ولما ذهبت جماعات الدعوة إلى البلدان العربية لم تكن كتب الفضائل قد ترجمت للغة العربية وإلى الآن لم يترجم إلا بعضها فاخترنا هذا الكتاب لحلقة التعليم ، لحصول المقصود منه أيضاً واستمر الأمر على ذلك .

أما ما يتعلق بكتاب ((تبليغي نصاب)) المشتمل على كتب الفضائل المختلفة وما أثير حول هذا الكتاب فنجيب عنها بإيجاز : هذه الكتب ألفت باللغة الأردية منذ زمان ، ولا شك قد تساهل المؤلف في ذكر بعض الروايات الضعيفة في الفضائل ، ولا شك قد تساهل المؤلف في ذكرها ويشير في الآخر إلى درجة الحديث من صحة وحسن وضعف ، وقد ترجم إلى اللغة العربية بعض كتب الفضائل ربما أطلعتم عليه.

وكذلك حياة الصحابة للعلامة المحدث الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي أيضاً مأخوذ مادته من كتب الصحاح الستة وغيرها من كتب السنة والسير والتاريخ .. ثم يذكر المؤلف مصدره حسب عادة المحدثين.

وأريد هنا أن ألفت نظركم الكريم إلى بعض مؤلفات العلماء الأعلام من السلف والخلف الذين ألفوا في الفضائل والسيرة، وكيف أنهم مع علو مرتبتهم في الحديث وتشددهم المعروف في هذه القضية تجد أنهم قد تساهلوا أيضاً في مؤلفاتهم هذه بالذات وذكروا فيها أحاديث ضعيفة كثيرة كما هو معلوم.. مثل ذلك: كتاب الأدب المفرد للبخاري إمام المحدثين، وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك، وصفوة الصفوة للإمام ابن الجوزي، وكتاب الكبائر للإمام الحافظ الذهبي، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير، والوابل الصيب وزاد المعاد للحافظ ابن القيم رحمهم الله.

ومرةً أخرى إنه لا يَنبغي أن نستدل بعمل فردٍ اشتغل بهذه الدعوة على أن فعله الشخصي جزء من أصول الدعوة، لأنها تدعو جميع الناس إلى الأصول المتفق عليها وهي بجملتها وتفصيلها معلومةٌ لديكم.

وهم يأتون إلينا مع انحرافاتهم السابقة .. ولا شك هذا يحتاج إلى تربية وجهد بالغ بحكمةٍ وسعة صدرٍ، وإشراف أمثالكم من الأفاضل أهلِ العلم والغيرة والحمية الدينية.

ومع هذا فإننا نعتبر أنفسنا والله مقصرين جداً .. ندعو الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد .

ونحن نرجو من فضيلتكم كما عهدنا منكم النصح لهذه الدعوة والمشاركة فيها لأنكم أهلاً لها والشيء من معدنه لا يستغرب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .. ونسال الله جميعاً التوفيق والسداد .. ويهدينا دائماً للحق والصواب .. وجميع عامة المسلمين .. على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .. وأن يلهمنا مراشد أمورنا ويعيدنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وحسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم في الله محمد إنعام الحسن الكاندهلوي

دلهي – الهند

الرسالة الثالثة

لأمير أهل التبليغ والدعوة

لوزيرة الصحة الهندية

رسالة وزيرة الصحة الهندية: للشيخ إنعام الحسن: أبدت الوزيرة في رسالتها الخوف والقلق من زيادة سكان الهند وعدم كفاية المحاصيل الغذائية للزيادة في السكان، وإن الحل عندها وعند حكومتها تحديد النسل وهابت بأمير الجماعة أن يبدي رأيه في الموضوع ، كي يستجيب المسلمون للفكرة أسوة بغيرهم من أديان سكان الهند، وكل ذلك لاستكمال البرامج والقوانين في ذلك.

فكيف كان رد أمير جماعة التبليغ على خطاب الوزيرة ؟؟

وما هو الحل في نظره لحل هذه المشكلة المستعصية على الحكومة؟

وهو العالم الكبير والداعية المعروف ، ويدير شئون جماعة التبليغ التي تعد بالملايين في الهند، وله احترام وتقدير بين المسلمين وبين غيرهم.

مع إن الوزيرة غير مسلمة فكيف كان رده ؟.

اسرد لكم الرد بتصرف يسي ، مع تنسيق الرسالة في نقاط مرقمة ليسهل استيعابها والتدقيق في المعاني والأفكار التي حوتها رسالته.

نص رسالة الرد من الشيخ إنعام الحسن بتاريخ /٣ نوفمبر١٩٦٦ م ، صاحبة المعالي الوزيرة الموقرة وصلت إلينا رسالتك، ذكرني فيها خوفك على ازدياد سكان الهند وكتبتي فيها بعض الاقتراحات لحل هذه المسالة ٠.

ولكن المسألة ليست هي فحسب، بل لا بد من أن ندرس القضية بدقة وإمعان، .فولادة الإنسان في هذا العام وكل عام ، هو أمر قد تقرر فما قدره الله عز وجل أن يأتي من البشر فلابد أن يأتي ذلك المقدار منهم.

ومهم بذلنا من جهد وطاقة في تقليل هذه الكمية لا نجاح لنا في ذلك أبدا، بل نوقع على أنفسنا ثقلا وحملا مزيدا وتكلفة لا فائدة من وراء ذلك .هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى والصورة الثانية، هدفكم هو أن يكفي إنتاج الحبوب والغلة المزروعة للمواليد الجدد من بني الإنسان، وهذا لا ضمان لكم فيه فقد لا تجود الأرض بالحبوب والغلات التي كانت تنتجه من قبل، إما لقلة الأمطار أو لكثرة السيول والفيضانات التي تتلف المحاصيل الزراعية أو الآفات التي تفسد النبات.

فإذا كان هدفكم تقليل الآكلين للطعام مستقبلا فكيف بمن ولدوا وهم أحياء في هذا الوقت؟ لقلة المحاصيل الزراعية لقلة الأمطار أو لكثرة السيول الجارفة للمحاصيل.

لأجل ذلك فالحل الوحيد لهذه المسألة، هو أن يختار الإنسان البساطة في حياته المعيشية ، وتجنب البذخ في ذلك.

فالإنسان إذا قضى حياته بالبساطة في المعيشة واختارها، صيانة له من الحياة المترفة المنحرفة هذا من جانب.

ومن جانب آخر ينشأ في الإنسان الذي اختار حياة البساطة في المعيشة ، علو الهمة والسلوك الإنساني مع الآخرين،

وبترك البساطة في المعيشة، وباختيار حياه الترف والتنعم والنعيم ، يتصف وينشا فيه الصفات الحيوانية البهيمية، وان عاش المجتمع في الحياة الحيوانية البهيمية فلا فلاح للإنسان في الحياة الحيوانية أبدا، فينشا في هذا الإنسان جميع الصفات البهيمية ومنها فقدان العطف والحنان على الآخرين، وعدم مواساة الآخرين ، والنفعية والتوحش ، فتنتفي فيه عاطفة نفع الغير، وهنا تبتلى الإنسانية بالمصائب والمشاكل العديدة.

والحل الوحيد والاحتراز من ذلك هو أن يسعى الإنسان لينال مقام الإنسانية الرفيعة، بالاشتغال بالسلوك العالي وجعله مجالا لسعيه، وعند وجود ذلك تظهر البركة من عند الله عز وجل في المنتجات الزراعية وغيرها.

وإن لم نقم بذلك السعي، ولم تظهر في المجتمع صورة الحياة الإنسانية، تذهب جميع مساعينا وجهودنا سدا وما هي إلا عبثا، ليس في هذه المسألة فحسب) مسالة تحديد النسل لقلة الغذاء (بل لجميع المسائل التي تعتري المجتمع الإنساني كونه إنسان.

فالإنسان مركب من شيئين أحدهما الجسم والثاني هو الروح والأصل الروح ، فلو كان الجسم صحيحا سليما معافى في الجسد ولم تكن فيه روح فالجسم فاسد لا يرجى منه فائدة، والمسألة الغذائية إنما تتعلق بالجسم والروح غذاؤها هو السلوك الإنساني.

فإذا كان الإنسان قويا من ناحية روحه لا يضره قلة غذاء جسمه كثيرا.

وبالمقابل إذا كان الجسم قويا سمينا وكانت روحه ميتة، لا يمكن له أن يتحصل على الراحة والسكون والطمأنينة أبدا في حياته.

إذن فالمسألة الأصلية التي حل لجميع المسائل هي مسالة الغذاء الروحي مما يحتاج إليه كل إنسان في هذا العصر.

والدرجة الأولى في هذه المسالة هي معرفة الخالق المالك ، والسعي لجعل السلوك موافقا لمرضاته.

فإذا نجحنا في إرضاء الله عز وجل، فهو أيضا يحل جميع مسائلنا ومشكلاتنا بعد ما يرضى علينا.

العبد محمد إنعام الحسن غفر الله له

٣ نوفمبر ١٩٦٦ م

الشيخ إنعام الحسن

يرد على شبهة أن أهل الدعوة لا ينهون عن المنكر

يقولون أن أهل الدعوة يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر مع أن الآية القرآنية شملتهما معا دون تفريق، وقد رد أمير الجماعة الشيخ إنعام الحسن أمير الجماعة على من استشكل عليه الأمر، فقد ورد في كتاب (بصائر الدعوة وفهمها وإدراكها) للكاتب الفاضل الشيخ محمد شاهد السنهافوري _ صـ ١٧٢، من الكتاب، نقلا عن الشيخ (شبير أحمد) انقله بتصرف يسير قال: تحدث سماحه الشيخ محمد إنعام الحسن رحمه الله تعالى بكلام وجيز أمام مجمع كبير من العلماء يبلغ عددهم مائة عالم في ميدان اسكندر أباد (حيدر أباد) وكان الصمت مخيم على الجميع فقطعت السكوت (أي شبير أحمد) وقلت حضرة جي (لقب الشيخ إنعام) يقول بعض الأخوة إن في جماعتنا يوجد الأمر بالمعروف فقط ، ولا يوجد النهي عن المنكر مع إن النص القرآني يذكرهما معاً !!

قال الشيخ: انظروا ما المقصود ؟ هل المقصود إظهار المنكر أو المقصود إزالة المنكر؟ فقلت: (أي السائل) إن المقصود إزالة المنكر، فقال الشيخ إنعام: انظروا للذين هم في الجماعة كم من منكرات زالت من حياتهم على ما كانت فيهم من ذي قبل ؟؟ (أي قبل خروجهم للدعوة والتبليغ) قال شبير: وهنا تأثر العلماء الحاضرون في ذلك المجلس أثراً طيباً لهذا الكلام، وصارحوا السائل فيما بعد. أ.هـ

وقال الشيخ إنعام وفي نفس المصدر السابق ما معناه: لكي نزيل المنكرات من الفرد المسلم أولا: نحاول نعطي الرجل ونؤلف قلبه حتى تتحكم الصلة بيننا وبينه ثم نلفت نظره عن تلك المنكرات التي في حياته، وهنا تكون النتائج عظيمة وقبلها على الفور ويتخلى عن تلك المنكرات. (١).

وفي ص ١٧٣ من المصدر السابق ردا على رسالة طويله في المنكرات والسيئات وكيف يتم إزالتها عن الناس أرسلت له من أحد العاملين في الدعوة، وبعد أن أخذت منه تلك الرسالة الاهتمام والتفكير، أملى على الشيخ محمد شاهد (مؤلف الكتاب) الرد على الرسالة بهذا الكلام الوجيز، ما معناه: إننا نسعى عن طريق هذا العمل (الخروج في سبيل الله) الإتيان بالخير في الأمة أولا ، لأن الإتيان بالخير يحتاج منا لجهود عديدة ومجاهدات كي يأتي هذا الخير في الناس، ومتى أتى فيهم فعل الخيرات فمثله مثل النور والضوء متى أشعل فتيله تبدد الظلام وزال ولسنا في حاجة لجهود لإزالة ذلك الظلام بحكم طبية الأشياء لذا ورد في القرآن (إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ). انتهى

ملاحظات هامة: من يريد معرفة مدى عمل جماعة التبليغ في النهي عن المنكرات التي توغلت في مجتمعاتنا الإسلامية، فلينظر بعين الإنصاف مدى زوال المنكرات في رجال التبليغ أولا وما يقومون به في إزالتها من غيرهم ثانيا، وهذا أمر لا يستطيع أحد نكرانه، وكيف استطاعوا بعون الله،

---

(١) المصدر السابق بتصرف يسير .

التحول الكامل أو الجزئي أو النسبي من حياه المنكرات الى حياه الطاعات والتقرب لله عز وجل نسال الله لهم الثبات حتى لو خرج رجل صالح معهم ابتداء تحول لان يكون مصلحا لغيره بعد أن كان خامدا عابدا راكدا غير حاملا للخير لغيره.

ومن يريد معرفة مدى عملهم بالآية التي بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيلحظ الحارات والقرى وإحياء المدن وبيوت ومنازل التي بها جهود أهل التبليغ والدعوة، كيف كانت وكيف صارت؟.

والمنكرات ظلام دامس تسلل لحياه المسلم في بيته وحارته وقريته ومجتمعه،، كلما خبت نور الدعوة والتبليغ والأعمال والجهود لذلك والبذل والتضحية، والعكس صحيح من أوقد ثقاب كبريت في غرفة مظلمة عرف أين يضع رجله بها، فان أشعل الفانوس الضوئي تبدد الظلام أكثر، ومن أشعل المصابيح الكهربائية زال الظلام وان طلعت الشمس زال الليل كله أمام أشعتها المباشرة والغير مباشرة كنا في الإسفار وقبل رؤية الشمس،، فالحسنات يذهبن السيئات.

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولكن بتحفظ دقيق (حقيقة الصلاة ذات الخشوع والخضوع) وليس صورة الصلاة دون أن تحمل حقيقة.

فإن لم يعرف المرء ولا أهل الحارة ولا أهل القرية رجال ونساء طريق الصلاة فكم من فواحش في حياتهم وكم من منكرات في معاشهم.

الختام

لا يسعني بعد ختام سيرة الأمراء الثلاثة الذين أكرمهم الله بحمل راية الدعوة إلى الله وتحمل أعباء الجهد وتجشم المشقة في سبيل إحياء الدين وتبليغه في المشارق والمغارب، إلا أن أشكر الله تعالى أن وفقني للكتابة عنهم.

وأسأل الله أن يفعني الله بسيرتهم ويرزقنا حبهم وأن يجمع بيننا وبينهم تحت ظل عرشه، وأن يجمع بيننا في فردوسه مع صحابة نبيه الأخيار الأبرار.

المراجـــــــع

١) القرآن الكريم .
٢) مختصر تفسير ابن كثير – دار التراث العربي للطباعة والنشر.
٣) مفاتيح الغيب للرازي المسمى بالتفسير الكبير _ دار الغد العربي بالقاهرة.
٤) رياض الصالحين للنووي – طبعة المكتب الاسلامي – بيروت – لبنان.
٥) مشكاة المصابيح – الخطيب التبريزي – طبعة المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان .
٦) صحيح البخاري.
٧) صحيح مسلم بشرح النووي – طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة .
٨) سنن الترمذي _ دار ابن الهيثم بالقاهرة.
٩) سنن النسائي _ بشرح السيوطي والسندي _ مطبعة دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٩ م.
١٠) سنن أبي داود.
١١) سنن ابن ماجة.
١٢) مسند الإمام أحمد.
١٣) الأدب المفرد للإمام البخاري.
١٤) حياة الصحابة – للشيخ محمد يوسف الكندهلوي – طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان .
١٥) تاريخ الإسلام – للذهبي – طبعة دار الغد العربي بالقاهرة .
١٦) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد – الشيخ محمد يوسف

الصالحي الشامي – طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية المسمي بالسيرة الشامية.

١٧) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي حياته ومنهجه في الدعوة للشيخ محمد الثاني الحسني ت ١٤٠٢ هـ قدم له سماحة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وعربه جعفر مسعود الحسني الندوي _ طبع بمطبعة دار البشائر الإسلامية بيروت ـ لبنان _ الطبعة الأولي ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١٨) الشيخ محمد إلياس (حياته ومنهجه) للندوي _ طبعة الهند.

١٩) الشيخ محمد إلياس (حياته ومنهجه) للدكتور عبد الخالق بيرزاده ط مكتبة الإيمان بالقاهرة.

٢٠) الفهم العميق في بيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ الأنصاري) بقلم المؤلف _ مطبعة آيات طموه جيزه مصر.

٢١) المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة بقلم المؤلف _ مطبعة السعادة بميت غمر _ دقهلية _ مصر.

٢٢) التبليغ بين يديك(روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله) بقلم المؤلف.

٢٣) بصائر دعوية في أخلاق الداعية(من كلام الشيخ الأنصاري بقلم المؤلف)

٢٤) كتاب كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟ للدكتور عبد الخالق بيرزاده ط مكتبة الإيمان بالقاهرة.

٢٥) كلمات مضيئة في الدعوة إلي الله بقلم/ محمد علي محمد إمام _ طبع بمطبعة السلام بميت غمر ٢٠٠٥.

٢٦) الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية من كلام الدكتور نعمان أبو

الليل _ بقلم المؤلف _ مطبعة السعادة بميت غمر دقهلية مصر.
٢٧) البيان الواضح في بيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله _ من كلام الشيخ محمد الملا_ بقلم المؤلف.
٢٨) الأسئلة المهمة في جهد التبليغ والدعوة بقلم المؤلف.
٢٩) منهج الدعوة إلي الله لمن يخرج في سبيل الله للدكتور عبد الخالق بيرزاده ط مكتبة الإيمان بالقاهرة.
٣٠) انجازات دعوة الشيخ إلياس _ مكتبة الإيمان ٤ شارع أحمد سوكارنو – بالعجوزة القاهرة.
٣١) مشكاة الأحباب أهل التبليغ والدعوة بقلم المؤلف _ مطبعة آيات طموه جيزه مصر.
٣٢) الباعث على الاستقامة في جهد التبليغ والدعوة بقلم المؤلف _ مطبعة دار الأساس بالقاهرة.
٣٣) فرضية الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ عبد الوهاب أمير الدعوة بباكستان) بقلم المؤلف _ مطبعة السعادة ميت غمر دقهلية مصر.
٣٤) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.
٣٥)الشيخ فريد العراقي وبيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.
٣٦) الأمراء الثلاثة لجماعة التبليغ والدعوة بقلم المؤلف.
٣٧) الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة بقلم المؤلف.
٣٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي.
٣٩) ردة وليس لها أبو بكر للندوي.
٤٠) السيرة النبوية للندوي.

الفهرس

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	تمهيد.....	٣
٢	المقدمة.....	٤
٣	نبـــذة عن حياة فضيلة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى:	٧
	- أسرته ومولده.....	٧
	- ولادتـــــــه.....	٧
	- نشأتـــه	٨
	- دراسته.....	٨
	- اشتغاله بالعلم.....	٨
	- تفويض أمور الدعوة إليه.....	٨
	- عمل الدعوة والتبليغ.....	١٠
	- فكر دائم.....	١٠

م	الموضوع	رقم الصفحة
	- الرحلات الدعوية.....	١١
	- خَلقَه وخُلُقه.....	١٣
	- خصائصه ومميزاته.....	١٣
	- خواطره وأحاسيسه.....	١٦
	- مؤلفاته.....	١٦
	- وفاته.....	١٧
	- أهله وأولاده.....	١٨
٤	بعض بيانات الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله)	٢٠
	- كيف تكونت الأمة المسلمة ؟.....	٢٠
	- القيام بالمجاهدة وعدم الاعتماد على الأشياء.....	٣٨
	- دقة عمل الدعوة.....	٤٠
	- أهمية عمل الدعوة.....	٤٢
	- الترغيب للجهد في شهر رمضان.....	٤٣

م	الموضوع	رقم الصفحة
	- بركة القيام على المقصد.....	٥٠
	- احترام العلماء.....	٥٢
	- مدار النجاح والفشل.....	٥٤
	- الإيمان بالله.....	٥٥
	- نتيجة الإيمان واليقين.....	٥٦
	- الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم.....	٥٦
	- أهمية الصلاة.....	٥٧
	- العلم والذكر.....	٥٩
	- إكرام المسلمين.....	٦٠
	- تصحيح النيـــة.....	٦٢
	- بذل الجهد في سبيل الله.....	٦٣
	- أعمال المسجد.....	٦٥
	- الحكمة.....	٦٧
	- رسالة للشيخ يوسف يبين فيها حال العالم اليوم...	٦٨

م	الموضوع	رقم الصفحة
	- خطبة نكاح للشيخ محمد يوسف رحمه الله..... - أهداف الحج..... - هدايات وإرشادات للدعوة في موسم الحج.....	٧٠ ٧٧ ٧٨
٥	جملة من أقوال الشيخ يوسف رحمه الله.....	٨٠
٦	كتاب حياة الصحابة وثناء العلماء عليه.....	١٣٥
٧	نبذة عن حياة الإمام العلامة الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوى (رحمه الله)..... -	١٥٩
٨	بصيرة الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله)	١٦٥
٩	ومن وصايا الشيخ محمد إنعام الحسن(رحمه الله)	١٦٧
١٠	بيانات الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله): - البيان الأول: الحياة الإنسانية.....	١٦٩ ١٦٩

م	الموضوع	رقم الصفحة
	- البيان الثاني للشيخ إنعام الحسن.....	١٧١
	- البيان الثالث للشيخ إنعام الحسن.....	١٧٧
	- البيان الرابع للشيخ إنعام الحسن.....	١٧٩
١١	رسائل الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله)	١٨١
	- الرسالة الأولى.....	١٨١
	- الرسالة الثانية.....	١٨٤
	- الرسالة الثالثة.....	١٩١
١٢	الشيخ إنعام الحسن يرد على شبهة أن أهل الدعوة لا ينهون عن المنكر.....	- ١٩٥
١٣	الختام.....	١٩٨
١٤	المراجع.....	١٩٩
١٥	الفهرس.....	٢٠٢